المعجزات الحسّية
للنبي صلى الله عليه وسلم
والرد على منكريها

دكتور محمد نبيل غنايم
الاستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الاسلامية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

مجلة مركز بحوث السنة والسيرة
العدد الرابع ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

مقدمـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن والاه . . . وبعد

فقـد أيد الله تعالى رسله بالمعجزات ، ونصرهم بآيات بينات ، وبراهين واضحات وحجج قطعات ، فكانت أدلة على صدقهم وحجة على أقوامهم وتثبيتا وإكراما لأتباعهم ، وقد اقتضت حكمة المولى سبحانه وتعالى أن ينوع في هذه المعجزات بين الاستجابة لما يطلبه الأقوام من أنبيائهم وما يمنحه الله عز وجل بلا طلب ، وبـين معجـزات حسية يراهـا النـاس بأعينهم ويلمسـونها بأيديهم ، ومعجزات روحية وعقلية يدركون آثارها ويقفون عاجزين أمامها ولا يستطيعون الإتيان بمثلها على الرغم من توفر الدواعي ، كما اقتضت حكمته عز وجل أن تكون هذه المعجزات أو بعضها على الأقل مما نبغ فيه قوم كل رسول وتفوقوا فيه حتى يكون الاعجاز أقوى والآية أوضح كما حدث مع كل من موسى وعيسى ومحمـد عليهم صلوات الله تعالى وتسليماته ، وقد غلب على معجزات الأنبياء السـابقـين الطابع الحسي لأن رسالاتهم كانت خاصة بأقوامهم وتنتهي بانتهاء عصورهم ، ولكن لما كان محمد ﷺ رسولا إلى الناس كافة ، وهو خاتم الأنبياء والمـرسلين ، ورسالته دائمة إلى يوم الدين ، فقد أيده الله تعالى بجميع أنواع المعجزات السابقة أو بنظائرها وفضله مع ذلك بمعجزة خاصة لم ينلها أحد غيره ، وجعلها معجزته الكبرى الباقية إلى يوم القيامة وهي «القرآن الكريم» الذي أعجز الأولـين والآخرين ومازال يعجز ويتحدى الجاحدين وسيبقى كذلك لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يشبع منه العلماء إلى يوم الدين . مما جعل بعض الدارسين في الماضي والحاضر يجعله المعجزة الوحيدة ، ويلغي بحسن نية أو سوء نية ما سواه من المعجزات الحسية لرسولنا ﷺ ، وقد أعلن ذلك بعض الأساتذة في إحدى الندوات العلمية بجامعة قطر ، وثار عليه جمهرة من الأساتذة الحاضرين ، في حين تصدى البعض الآخر لتأييده والثناء عليه . وهذا ما دفعني

للكتابة في هذا البحث «المعجزات الحسية للنبي ﷺ أرجو الله تعالى أن يوفقني لتجلية جوانبه وتوضيح أدلته وإزالة شبهاته وأفحام خصومه .

وقد جعلته في ثلاثة فصول وخاتمة .

أما الفصل الأول فللحديث عن المعجزة بصفة عامة من حيث تعريفها وشروطها والفرق بينها وبين غيرها من الخوارق وحكمتها وأقسامها وإمكان وقوعها . ليكون أمامنا ضوابط نسير عليها ونحتكم إليها .

وخصصت الفصل الثاني للكلام عن المعجزات الحسية للنبي ﷺ فعرفت المقصود منها ، وبينت أقوال العلماء في كثرتها ثم انتقلت إلى إحصاء إجمالي لها يجمع حوالي ثمانين معجزة منها هي التي يغلب عليها الصحة والثبوت ثم تناولت أربعا من هذه المعجزات بالتفصيل لأبين رواياتها وطرق ثبوتها وأقوال العلماء فيها وهي انشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام القليل وحنين الجذع ثم عممت الأحكام المتعلقة بهذه المعجزات على باقي المعجزات الاجمالية من حيث التواتر والثبوت القطعي .

وأما الفصل الثالث فجعلته للمنكرين وبيان مواقفهم وشبهاتهم فبينت أن منهم من أنكر هذه المعجزات كلية ، ومنهم من اعترف بثبوتها ولكنه لا يعدها معجزة إذ المعجزة الوحيدة للنبي ﷺ هي القرآن وذكرت شبهات هؤلاء المنكرين في ستة أمور ثم ناقشت كلا منها على حدة بما يبين ضعفها ويسقطها حتى دحضت بذلك الشبهات الست ولم يبق إلا الإيمان والاستسلام الذي اختتمت به هذا البحث وبينت في خاتمته أهم نتائجه وأفكاره .

والله أسأل أن ينفع به ويجعله خالصا لوجهه إنه خير مأمول وأكرم مسئول .

الفصل الأول

في بيان معنى المعجزة وشروطها وحكمتها . . . ونحو ذلك .

المعجزة :

مأخوذة من العجز وهو الضعف تقول : عجزت عن كذا أعجز بالكسر عجزا ومعجِزة ومعجَزة ومعجَزا ومعجزا بالفتح أيضاً على القياس ، وفي الحديث «لا تلثوا بدار مَعْجَزة» أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش ، والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء وأعجزه الشيء : فاته[1] .

وقال الآمدي : المعجزة - في الوضع - مأخوذة من العجز وهو في الحقيقة لا يطلق على غير الباري تعالى لكونه خالق العجز ، وإن سمينا غيره معجزا كما في فلق البحر وإحياء الموتى ، فذلك إنما هو بطريق التجوز والتوسع من كونه سبب ظهور الإعجاز وهو الانباء عن امتناع المعارضة ، لا الانباء عن العجز عن الاتيان بمثل تلك المعجزة كما يتوهمه بعض الناس[2] فتبين من ذلك أن المعجزة في اللغة مأخوذة من العجز وهو الضعف وعدم القدرة على محاكاتها والاتيان بمثلها .

وأما في الاصطلاح فتتفق كلمة العلماء على معناها مع الاختلاف في الألفاظ التي تعبر عن ذلك المعنى .

فهي عند الآمدي : «كل ما قصد به إظهار صدق المتحدي بالنبوة المدعي للرسالة»[3] ويعرفها القسطلاني بأنها «الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها»[4] وقال الحلبي : «المعجزة بحسب الاصطلاح عبارة عما قصد به

---

١ - الصحاح في اللغة والعلوم ، تجديد صحاح العلامة الجوهري / نديم مرعشلي ص٧٠٨ مادة عجز .

٢ - غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ص٣٣٣ .

٣ - السابق ص٣٣٣ .

٤ - شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني جـ٥ ص٧٥ .

إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله»[٥] ومقتضى هذا أنها خاصة بالرسل عليهم الصلاة والسلام وهو رأي لبعض العلماء ، والصحيح شمولها للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين[٦] وإن كان المعروف منها والمشهور للرسل ، وكل رسول نبي كما هو معروف فلو أضيفت إلى الأنبياء فهم المرسلون لأنهم أنبياء ومن هنا جمع بعض العلماء بين الاسمين فقال : «المعجزة عبارة عن إيجاد الله تعالى أمرا خارقا للعادة على يد مدعي الرسالة للدلالة على تصديق الله تعالى له ، فكل ما أظهره الله سبحانه وتعالى على أيدي الأنبياء عليهم السلام مما يعجز البشر عن الاتيان به أو بمثله ، فهو من معجزاتهم الدالة على نبوتهم»[٧] .

ومما سبق يتبين لنا أن المعجزة : أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى ويظهره على يد من يدعي النبوة لتكون دليلا على صدقه وحجة على قومه لأنهم يعجزون عن الاتيان بمثلها فيدل ذلك على أنها من عند الله الذي أرسل ذلك الرسول وأيده بها . ومن هنا جاءت تعريفات العلماء المحدثين والمعاصرين شاملة وموضحة لما أجمله العلماء القدامى يقول الشيخ رشيد رضا «جاء في تعريف العجائب وأنواعها من قاموس الكتاب المقدس ما نصه : «عجيبة : حادثة تحدث بقوة إلاهيه خارقة مجرى العادة الطبيعية لإثبات إرسالية من جرت على يده أو فيه ، والعجيبة الحقيقية هي فوق الطبيعة لا ضدها تحدث بتوقيف نواميس الطبيعة لا بمعاكستها . .»[٨] .

أما العقاد فيقول عن المعجزة : هي حادث خارق لنواميس الكون التي يعرفها الإنسان ، مقصود به إقناع المنكرين بأن صاحبها مرسل من قبل الله ، إذ كان يأتي للناس بعمل لا يقدر عليه غير الله[٩] .

ويعرفها الشيخ سيد سابق بقوله : عرفوا المعجزة بأنها الأمر الخارق للعادة

---

٥ ، ٦ - السيرة الحلبية / برهان الدين الحلبي جـ٣ ص٢٧٨ .

٧ - حدائق الأنوار ومطالع الأسرار -/ ابن الديبع الشيباني تحقيق عبد الله الأنصاري جـ١ ص١٦٩ .

٨ - الوحي المحمدي - رشيد رضا ص١٠٦ .

٩ - ساعات بين الكتب - العقاد ص٢٣ .

الذي يجريه الله على يدي نبي مرسل ليقيم به الدليل القاطع على صدق نبوته[١٠] .

وقال الشيخ حسن أيوب : عرف العلماء المعجزة بالتعريف الآتي : «هي أمر يظهره الله بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرون عن الإتيان بمثله»[١١] .

وهكذا يتضح لنا من التعريفات السابقة قديمها وحديثها اتفاق العلماء في الماضي والحاضر على أن المعجزة كل ما يظهره الله تعالى على أيدي أنبيائه ورسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات المخالفة لما عليه الناس من السنن والعادات وذلك ليعلم الناس صدق هؤلاء الأنبياء فيؤمنوا بهم ويتبعوهم وإلا قامت الحجة عليهم وعوقبوا على جحودهم في الدنيا والآخرة كما فعل الله تعالى بالأمم السابقة أو في الآخرة كما هو الحال مع أمة محمد ﷺ .

٢ - أسماؤها :

على الرغم من أن اسم «المعجزة » لم يستخدمه القرآن الكريم ولا السنة النبوية بهذا المعنى الذي سبق بيانه إلا أنه أكثر الأسماء انتشارا واستعمالا ويرادفه لفظ الآية والدليل والبرهان والبينة ، وهي الألفاظ والأسماء المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، قال تعالى : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾[١٢] وقال : ﴿ فذانك برهانان من ربك ﴾[١٣] ، ﴿ قد جاءكم برهان من ربكم ﴾[١٤] ، وقال : ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾[١٥] ، وقال : ﴿ ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ﴾[١٦] . ومن هنا يكون التعبير بلفظ

---

١٠ - العقائد الإسلامية - سيد سابق ص٢٠٨ .

١١ - تبسيط العقائد الإسلامية - حسن أيوب ص٢٠١ .

١٢ - القمر : ٢ .

١٣ - القصص : ٣٢ .

١٤ - النساء : ١٧٤ .

١٥ - البقرة : ٨٧ .

١٦ - الفرقان : ٤٥ .

المعجزة خلاف الأولى لأنه لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ومع هذا جرى العلماء على استخدامه في الماضي والحاضر بلا حرج وفي ذلك يقول القسطلاني «فإن قلت : أي الأسمين أحق وأولى بما أتت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، هل لفظ المعجزة أو لفظ الآية أو الدليل ؟ فالجواب أن كبار الأئمة يسمون معجزات الأنبياء دلائل النبوة وآيات النبوة ولم يرد أيضا في القرآن لفظ المعجزة بل ولا في السنة أيضا وإنما فيهما لفظ الآية والبينة والبرهان» وقال الزرقاني في شرح ذلك : «فالتعبير بمعجزة خلاف الأولى لعدم وروده والأولى الآية أو الدليل ونحوها لموافقة الوارد ، وفي الشامي لفظ المعجزة وضعه المتكلمون على ما اشتمل على الشروط الأربعة من آيات الأنبياء ولا ضير في ذلك خلافا لمن زعمه والتعبير بالآية والبرهان والبينة لا ينافي ذلك وكل معجزة آية وبرهان وبينة ولا عكس كما يظهر بتأمل حد المعجزة والظاهر أن الآية والدليل متساويان انتهى»[١٧] . وقد فرق بعض العلماء بين هذه الألفاظ فلم يسم الآية أو البرهان معجزة إلا إذا استوفى شروطها الأربعة - سنبينها بعد - أو إذا كان للأنبياء فقط ، أما خوارق غيرهم فلها اسماء أخرى كالكرامات ونحو ذلك ، وبعض العلماء خصص الآية والبرهان بالأنبياء وجعل المعجزات صالحة للأنبياء والأولياء . قال القسطلاني : «وأما لفظ المعجزة إذا أطلق فإنه لا يدل على كون ذلك آية إلا إذا فسر المراد به وذكرت شرائطه ، وقد كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزة إلا ما كان للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقط ، ومن أثبت للأولياء خوارق عادات سماها كرامات والسلف كان يسمون هذا وهذا معجزة كالإمام أحمد وغيره بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبي فإن هذا يجب اختصاصه به ، وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولي فإن الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان آية وبرهانا»[١٨] .

---

١٧ - شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني جـ٥ ص٨٠ .

١٨ - المواهب اللدنية للقسطلاني جـ٥ ص٨١ .

والذي نراه أن الألفاظ الخمسة بالنسبة للأنبياء مترادفة وقد استخدم القرآن ما استخدمه منها في الدلالة على معنى واحد أما بالنسبة لغير الأنبياء فتكون للخوارق أسماء أخرى كما سنبين بعد ، وكما قال الزرقاني : «لا ضير من استخدام لفظ المعجزة فيما سماه القرآن الكريم آية أو بينة أو برهانا» .

٣ - شروطها :

من التعريفات السابقة استخلص العلماء شروطا للمعجزة ، منها ما هو متفق عليه ، ومنها ما هو مختلف فيه ؛ فمما اتفقوا عليه أن تكون خارقة للعادة ، وأن تظهر على يد نبي ، وأن تؤيد وتوافق دعواه ، وأن يعجز البشر عن الإتيان بمثلها ، ومما اختلفوا فيه اقترانها بالتحدي قال القرطبي : «وشرائطها خمسة فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة ، فالشرط الأول من شروطها أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه . . . كفلق البحر وانشقاق القمر وما شاكلها مما لا يقدر عليها البشر . والشرط الثاني هو أن تخرق العادة . . كقلب العصا ثعبانا ، ونبع الماء من بين الأصابع ، وخروج الناقة من الحجر وما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعادات التي ينفرد بها جبار الأرض والسموات . . . الشرط الثالث هو أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل . . . الشرط الرابع هو أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له . . . الشرط الخامس ألا يأتي أحد بمثل ما أتي به المتحدي على وجه المعارضة ، ثم أضاف شرطا آخر بالنسبة للقرآن الكريم حيث قال : إذا ثبت هذا فاعلم أن المعجزات على ضربين : الأول ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ ، والثاني ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله ، واستفاضت بثبوته ووجوده ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة ، ومن شرطه أن يكون الناقلون له خلقاً كثيرا وجما غفيرا وأن يكونوا عالمين ، بما نقلوه علما ضروريا وأن يستوفي في النقل أولهم وآخرهم وسطهم في كثرة العدد حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب ، وهذه صفة نقل القرآن»[١٩] . وما أضافه بالنسبة للقرآن ليس شرطا في باقي المعجزات .

---

١٩ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي جـ١ ص٧٠-٧٢ باختصار . وأنظر أيضاً : غاية المرام في علم الكلام - الآمدي ص٣٣٤ .

وهذه الشروط التي ذكرها القرطبي للمعجزة لا تختلف عما ذكره غيره من شروط لها إلا في بعض الألفاظ والعبارات فالقسطلاني بعد تعريفه السابق للمعجزة يقول : «نعلم من ذلك أن لها شروطا أربعة - وقد اعتبرها الزرقاني أركانا لأنها أجزاء للماهية لا خارجة عنها - أحدها أن تكون خارقة للعادة كانشقاق القمر ، وانفجار الماء من بين أصابعه وقلب العصا حية ، وإخراج ناقة من صخرة . . الثاني : أن تكون مقرونة بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة . . . والشرط الثالث : أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة ، وعبر عنه بعضهم بقوله دعوى الرسالة مع أمن المعارضة وهو أحسن من التعبير بعدم المعارضة لأنه لا يلزم من عدم المعارضة امتناعها والشرط إنما هو عدم إمكانها . . . الرابع : أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها . . . فمتى اختل شرط من هذه لم تكن معجزة . . . »[٢٠] . وواضح من النصين الاتفاق في المعنى وإن اختلفت بعض الألفاظ والأساليب . ومن العلماء من فصل هذه الشروط وأطنب فيها ومنهم من اختصرها وأوجز فالأستاذ العقاد يرى شروط المعجزة اثنين : أولاً : أن تخرق النظام الذي يعهده الناس ، ثانياً : أن تمنع كل ريب في حدوث ذلك الخرق بقدرة غير قدرة الله . . . »[٢١] . وهو بهذا قد اختصر الشروط الثلاثة الأخيرة في الشرط الثاني ، على حين بقى الشرط الأول وهو خرق العادة الذي عبر عنه بخرق النظام الذي يعهده الناس كما هو بينما فصل الشيخ حسن أيوب هذه الشروط حتى وصل بها إلى ثمانية فأضاف : أن لا تكون مكذبة للمدعي ، وهو مفهوم الشرط الرابع ، وأن تتعذر معارضتها والاتيان بمثلها ، وهو ما عبر عنه في الشروط السابقة بأمن المعارضة ، ثم قال وزاد بعضهم أن لا تحصل المعجزة زمن نقض العادات كزمن طلوع الشمس من مغربها وتكلم الدابة وظهور المسيح الدجال فإن الخوارق فيه ليست معجزة»[٢٢] . وأرى أن هذه

---

٢٠ - المواهب اللدنية -القسطلاني جـ٥ ص٧٤ - ٧٩ .

٢١ - ساعات بين الكتب - العقاد ص٢٥ .

٢٢ - تبسيط العقائد الإسلامية - حسن أيوب ص٢٠٢ بتصرف .

الشروط لم تضف شيئا فبعضها مفهوم من الشروط السابقة والأخير لا يدخل في مفهوم المعجزة لأن النبوة والرسالة انتهت وأختتمت بمحمد ﷺ الذي أخبر بأن تلك الخوارق من علامات الساعة الكبرى

٤ - علاقة التحدي بالمعجزة :

أما ما اختلفوا فيه من الشروط فهو : التحدي بها فقد اعتبره البعض شرطا أساسيا ، واعتبره الآخرون شرطا ضمنيا ، أما الأولون فاعتبروا القرآن الكريم هو المعجزة الوحيدة للنبي ﷺ لأنه المعجزة الوحيدة التي تحدى بها ونص الله تعالى على هذا التحدي في عدة آيات حيث طالبهم أن يأتوا بمثله فعجزوا فطالبهم بعشر سور من مثله فعجزوا فطالبهم بسورة واحدة من مثله فعجزوا ثم أعلن عجزهم الدائم والمستمر إلى يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[٢٣] . وقال : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾[٢٤] . وقال : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾[٢٥] . أما ما سوى القرآن من الخوارق ، فإن صح وقوعها فهي ليست معجزات لأن شرط التحدي غير موجود فيها ، ومن هنا أنكروا المعجزات الحسية أو أولوها . وأما من اعتبروه شرطا ضمنيا فرأيهم أن التحدي مطلوب سواء صرح به كما في القرآن أو لم يصرح به كما في باقي المعجزات ، فالتحدي قائم وموجود فيها لأن أحدا لا يستطيع أن يأتي بمثلها ، وقد ظهرت على يد النبي ﷺ وفي إبان دعوته ومراحل رسالته وإذا كان النبي ﷺ لم يطالبهم أن يأتوا بشيء مما أتى به إلا أن ذلك قائم ضمنا ، ولكن يبقى أن القرآن الكريم هو أكبر المعجزات وأعظمها وليس المعجزة الوحيدة . وفي

---

٢٣ - الإسراء : ٨ .

٢٤ - هود : ١٣ .

٢٥ - البقرة : ٢٣ .

ذلك يقول القسطلاني والزرقاني : «وقال المحققون : التحدي الدعوى للرسالة فما جاء به بعدها من الخوارق فهو معجزة وإن لم يطلب الإتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي . . واشتراط التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صاحب للنبي ﷺ ولا إجماع وما تعرى من البرهان فهو باطل فيبطل ما بني عليه ، الثاني أن أكثر آياته ﷺ وأعمها وأبلغها كانت بلا تحد كنطق الحصا ونبع الماء ونطق الجذع وإطعام المئين من صاع وتفله في العين ، وتكليم الذراع المسمومة إذ أخبرته بذلك وشكوى البعير له أن صاحبه يجيعه ، وكذا سائر معجزاته العظام وقعت بلا تحد ، ولعله ﷺ لم يتحد بغير القرآن في نحو ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ وتمنى الموت تحدى به اليهود بقوله ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾[٢٦] . فلم يفعلوا كما قال تعالى : ﴿ ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ﴾[٢٧] . من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم . . . إلى أن قال : فأف لقول لا يبقى من الآيات ما يسمى معجزة إلا هذين الشيئين : القرآن ، وتمنى الموت ويلغي معجزات كالبحر المتقاذف بالأمواج ، ومن قال إن هذه ليست معجزات ولا آيات فهو إلى الكفر أقرب منه إلى البدعة ، لكن لم يقل بذلك أحد وإنما سرى له ذلك من حمل التحدي على المعنى الحقيقي له . . . .»[٢٨] .

ومن هذا يتبين أن اشتراط التحدي لا أصل له حيث لم يرد به كتاب ولا سنة ولا إجماع ، كما يترتب على اشتراطه ضياع كل المعجزات النبوية إلا القرآن ، وتمنى الموت ، وهذا يؤدي إلى الكفر أو على الأقل إلى الابتداع ، ولسنا مع الغاء التحدي ولا مع التعسف في اشتراطه ولكن نقول أن جميع المعجزات فيها تحد منه ما صرح به كالقرآن وتمنى الموت ، ومنه ما لم يصرح به ولكنه متضمن لأن أحدا لا يستطيع الإتيان بمثلها .

ومن أمثلة النموذج الأول قول الشيخ محمد مصطفى المراغي «لم تكن معجزة

---

٢٦ - الجمعة : ٦ ، والبقرة : ٩٤ .

٢٧ - البقرة : ٩٥ .

٢٨ - المواهب اللدنية وشرح الزرقاني عليها جـ٥ ص٧٧ - ٧٨ بتصرف .

محمد ﷺ القاهرة إلا في القرآن ، وهي معجزة عقلية وما أبدع قول البوصيري :

لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

وقول الشيخ رشيد رضا «أهم ما ينكره الأزهريون والطرقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات ، وقد حررتها في كتاب «الوحي المحمدي» من جميع مناحيها ومطاويها في الفصل الثاني وفي المقصد الثاني من الفصل الخامس بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد ﷺ بالذات ونبوة غيره من الأنبياء وآياتهم بشهادته ، لا يمكن في عصرنا إثبات آية إلا بها ، وأن الخوارق الكونية شبهة عند علمائنا لا حجة لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى ، وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل ، وبينت سبب هذا الافتتان والفروق بين ما يدخل منها في عموم السنن الكونية والروحية وغيره»[٢٩] .

وفي هذا الكلام مبالغة واضحة وتجاوز بين ، فلا مانع كما أشرنا من قبل أن يكون القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى والعظيمة والعقلية والباقية والقطعية للنبي ﷺ ، ونحن نقول ذلك ، ولكن لا يجوز نفي المعجزات الأخرى وتعطيلها والتهوين من شأنها وأثرها وحجيتها ، وإدراجها في سلك الشبهات ، وإدراج القائلين بها والمؤمنين بحجيتها في سلك المفتونين والخرافيين ، والتهوين من قيمتها إلى هذا الحد الذي يشبهها بما يقع في كل مكان وزمان ، كما رأينا ، وسنعود إلى هذه المسألة عند الكلام عن شبهات المنكرين للمعجزات الحسية في الفصول القادمة .

٥ - الفروق بين المعجزات وغيرها من الخوارق :

من الشروط السابقة للمعجزة ووجوب توافرها ، ومن التعريف الجامع المانع لها استطاع العلماء أن يفرقوا بينها وبين ما يقع من الخوارق الأخرى ، وقدموا لنا في هذا التفريق عدة أسماء لتلك الخوارق فهناك :

---

٢٩ - حياة محمد - هيكل ص٥٣ ، والوحي المحمدي ص١٠٥ .

أ - **الكرامة** :

وهي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد رجل صالح إكراما له ، فهي تشبه المعجزة في أنها خارقة للعادة ولكنها تختلف عنها فيمن تظهر على يديه فالمعجزة تظهر على يد نبي يدعي النبوة ، وصاحب الكرامة لا يدعي النبوة ، والمعجزة تكون مقرونة بالنبوة والكرامة قد تتأخر وتظهر بعد وفاة صاحبها والنبي يظهر معجزته ويتحدى بها صراحة أو ضمنا ، والولي صاحب الكرامة لا يظهرها بل عليه أن يخفيها ، والقول بالكرامة وثبوتها هو رأي جمهور العلماء من السلف والخلف[٣٠] .

ب - **الإرهاص** :

وهو أمر خارق للعادة يظهره الله على يد النبي قبل بعثته تمهيدا له وتأسيسا لرسالته ، وهو يختلف عن المعجزة في أنها تقترن بدعوى النبوة وتظهر في فترة الرسالة أما الارهاص فيظهر قبل ذلك كما حدث عند ولادة النبي ﷺ وفي طفولته وتجارته في مال خديجة قبل البعثة .

جـ - **المعونة** :

وهي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد بعض لعوام تخليصا لهم من شدة وتفريجا لهم من ضيق وواضح أنها تختلف عن الكرامة في أن صاحب الكرامة رجل صالح ظاهر الصلاح وصاحب المعونة رجل من عوام الناس أعانه الله تعالى في أزمة من الأزمات بشكل غير عادي . وهذه الأنواع الثلاثة في جانب الصلاح والخير .

وهناك خوارق أخرى في جانب الفجور والشر وهي :

١ - **الإهانة** :

وهي أمر خارق للعادة يظهره الله على يدكاذبمدع للنبوة خلاف مطلوبة كما حصل لمسليمة الكذاب .

---

٣٠ - شرح الزرقاني على المواهب جـ٥ ص ٨١ .

٢ - الاستدراج :

وهو أمر خارق للعاده يظهر الله على يد مدع الألوهية كما يظهر على يد المسيح الدجال .

٣ - السحر :

وهو قواعد يقتدر بها على إصدار أفعال غريبة خارقة للعادة بالنظر لمن يجهل قواعده ، ويكتسب بالتعلم .

٤ - الشعوذة :

وهي خفة في اليد تؤثر على المشاهدين حتى يروا أشياء غير حقيقية ويظنوها حقيقية كما يفعل الحواة .

٥ - غرائب المخترعات :

وهي الناشئة عن معرفة خصائص المادة وأسرار الكون كالتلفزيون وغزو الفضاء .

قال الزرقاني في شرح تعريف الكرامة وبيان ما يدخل فيها وما يخرج عنها من الخوارق : فدخل في أمر خارق جنس الخوارق ، وخرج بغير مقرون بدعوى النبوة المعجزة وبنفي مقدمتها الإرهاص ، وبظهور الصلاح ما يسمى معونة مما يظهر على يد بعض العوام كبصق مسيلمة في البئر ، وبالمصحوب بصحيح الاعتقاد الاستدراج كما خرج السحر من جهات عدة ، كما قال السبكي قال ابن أبي شريف والذي يتلخص من كلام من تكلم في الخوارق أنها ستة أنواع إرهاص وهو ما أكرم به النبي قبل النبوة ، ومعجزة وهو ما ظهر بعد دعوى النبوة ومعونة واستدراج وإهانة»[٣١] . وقد استبعد السحر والشعوذة لأنهما يتمان بالتعلم والاكتساب ، بينما الأمور الأخرى غير إرادية ولا مكتسبة .

---

٣١ - شرح الزرقاني على المواهب جـ٥ ص٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٠٥ . وانظر أيضاً : تبسيط العقائد الإسلامية ص٢٠٣ ، ٢٠٤ ، وفي الفرق بين المعجزة وغيرها أنظر أيضاً : السيرة الحلبية جـ٣ ص٢٧٨ ، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ص١٧٧-١٧٩ ، والعقائد الإسلامية - سيد سابق ص٢١١ ، ص٢١٣ ، غاية المرام في علم الكلام ص٣٣٤ ، وحدائق الأنوار جـ١ ص١٨٣-١٨٦ .

حكمتها :

يظهر من تعريف المعجزة السابق أن الهدف منها هو إظهار صدق النبي فيما يدعيه من النبوة وما يحمله من الرسالة وما يخبر به عن الله عز وجل ، كما أن الغاية منها تأييد ذلك النبي وتثبيته وتثبيت المؤمنين به ، كما أن الغاية منها إقامة الحجة على الكافرين والمنكرين لما جاء به هذا النبي وبذلك يستحقون العذاب في الدنيا كما حصل مع الأمم السابقة أو في الآخرة كما سيحدث مع المنكرين من أمة محمد ﷺ . وفي توضيح هذه المعاني يقول الرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾[٣٢] . «قيل لا آية إلا وتتضمن التخويف عند التكذيب إما من العذاب المعجل أو من عذاب الآخرة ، فإن قيل : المقصود الأعظم من إظهار الآيات أن يستدل بها على صدق المدعي فكيف حصر المقصود من إظهارها في التخويف ؟ قلنا : المقصود أن مدعي النبوة إذا أظهر الآية ، فإذا سمع الخلق أنه أظهر الآية فهم لا يعلمون أن تلك الآية معجزة أو مخوفة إلا أنهم يجوزون كونها معجزة ، وبتقدير أن تكون معجزة فلو لم يتفكروا فيها ولم يستدلوا بها على الصدق لإستحقوا العقاب الشديد فهذا هو الخوف الذي يحملهم على التفكر والتأمل في تلك المعجزات فالمراد من قوله ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾ هذا الذي ذكرناه والله أعلم[٣٣] .

ويقول الآمدي : «ثم يجب أن يكون البيان مؤيدا من عند الله تعالى بالمعجزات والأفعال الخارقة للعادات التي تتقاصر عنها قوى غيره من نوعه ، بحيث يكون ذلك موجبا لقبول قوله ، والانقياد له فيما يسنه ويشرعه ، ويدعو به إلى الله تعالى وإلى عبادته والانقياد لطاعته ، وما الله عليه من وجوب الوجود له ، وما يليق به وما لا يليق به ، وأحكام المعاد ، وأحكام المعاش ليتم لهم النظام ، ويتكامل لهم اللطف والانعام»[٣٤] .

ويقول القسطلاني والزرقاني : «المقصد الرابع في معجزاته ﷺ الدالة على

---

٣٢ - الإسراء : ٥٩ .

٣٣ - التفسير الكبير - الرازي جـ١٩ ص٢٣٥ .

٣٤ - غاية المرام في علم الكلام ص٣١٩ .

ثبوت نبوته وصدق رسالته وشدتها وقوتها لدلالة معجزاته على تحقق رسالته تحققا لا مرية فيه . . . ثم قال : وغير ذلك مما أمده الله به من المعجزات وأكرمه به من خوارق العادات تأييدا لإقامة حجته ، وتمهيدا لهداية محجته ، وتأييدا لسيادته في كل أمة ، وتسديدا لمن ادكر بعد أمة»[٣٥] .

٧ - إمكانها وثبوتها :

ذكر العلماء أن المعجزات فرع النبوات بمعنى أن المعجزة - كما بينا من تعريفها وشروطها تظهر على يد النبي تصديقاً له وتثبيتاً للمؤمنين به وحجة على المنكرين له ومعنى هذا أن النبي محتاج للمعجزة ليثبت صدقه في دعواه ، والمعجزة محتاجة لنبي لتظهر على يده وإلا لم تكن معجزة وهكذا ومن هذا نعلم أن المعجزة ضرورية للنبي للوقوف على صدقه وقبول دعوته ، ومقتضى ذلك أن تكون ممكنة عقلا وأن تقع فعلا وهذا ما أثبته جمهور العلماء من السلف والخلف ، ولكن فريقا آخر أنكر ذلك وأقام اعتراضات واهية في إثبات ما أنكره كما فعل الصابئة والبراهمة وبعض الفلاسفة الذين انكروا الرسالات ورأوا الاعتماد على العقل ، وتابعهم المعتزلة في الاعتماد على العقل في غير الشرعيات . وقد رد عليهم الآمدي وبين ضرورة الرسالة والمعجزة ومما قال في ذلك :

«وأما ما ذكروه من تعذر الوقوف بالعقول على صدق الرسول فتصريح بتعجيز الله تعالى عن تصديق من اصطفاه ونبأه ، واتخذه وسيلة إلى اصلاح نظام الخلق بالارشاد إلى السبيل الحق ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواهم إن يقولون إلا كذبا ﴾[٣٦] . بل من له الخلق والأمر ، وله التصرف في عباده بالبذل والمنع

---

٣٥ - شرح الزرقاني على المواهب جـ٥ ص٧٤-١٠٦ . وانظر في بيان الحكمة من المعجزات : العقائد الإسلامية ص٢٠٨ ، وتبسيط العقائد ص٢١٠ ، والوحي المحمدي ص١١٢ ، ١١٣ ، فقه السيرة ص١٤٤ ، وخاتم النبيين جـ٢ ص٩٢٤ ، وشرح العقيدة الواسطية ص١٧٨ وغيرها .

٣٦ - الكهف : ٥

والشطر والجمع ، كما كان قادرا على تعريف الخلائق بنفس ربوبيته ، والتصديق بالهيئة قادر على أن يعرفهم صدق من أصطفاه واجتباه لحمل أمانته ، إما بأن يخلق لهم علما ضروريا بذلك ، أو بالاخبار عن كونه رسولا كما قال تعالى في حق آدم للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾[٣٧] . ولا يلزم من تصور الخطاب من المرسل الاستغناء عن الرسول فإن ذلك حجر وتحكم على الحاكم في مملكته وهو خلاف المعقول ، بل لله تعالى أن يصطفى من عباده : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾[٣٨] . وقد يكون التعريف للصدق بأظهار المعجزات على يد مدعي النبوة على وجه تدين له العقول السليمة بالاذعان والقبول ، وذلك أنه إذا قال أنا رسول وآية صدقي في قولي إتياني بما لا تستطيعون الاتيان بمثله ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وشق البحر وقلب العصا حية ، وغير ذلك من الآيات ، فإذا ما ظهر ذلك على يده مقارنا لدعوته قطع كل عقل سليم ولب مستقيم بتصديقه في قوله وتحقيقه وأذعن إلى أتباعه وتقليده ، إذ العقل الصريح يقضي بأن ظهور الخارق للعادة مقارنا لدعوته وعجز الناس عن معارضته مع توفر دواعيهم على مقابلته ، وإفحامه في رسالته ، ينهض دليلا قاطعا على صدق مقالته ، وإظهار الباري تعالى ذلك على يده مقارنا لدعوته ينزل منزلة الخطاب أنه رسول وأنه صادق فيما يقوله إذ لو كان ذلك اتفاقا لما وقع على وفق أخباره وعلى حسب إيثاره واختياره إذ هو ممتنع بالنظر إلى الاستحالة العادية ولا سيما إن وقع ذلك منه متكررا . . . » إلى أن قال أيضا في الرد على شبهة أخرى مؤداها إن انقطاع المعجزة في بعض الأحيان يدل على كذب الرسول وإبطال رسالته فقال : «وبعد ما تقترن المعجزة بدعواه على سبيل ما يجريه الله ويثبت صدقه في ذلك بطريق العلم بناء على ما احتفت به من القرائن الظاهره والدلائل الباهرة فلا ينتهض عدمها بعد ذلك دليلا على كذبه وإبطاله رسالته ، وإلا لوجب أن ينقلب العلم جهلا وذلك محال وليس انتفاء دليل الإثبات في بعض

---

٣٧ - البقرة : ٣٠ .

٣٨ - الحج : ٧٥ .

الأوقات دليلا على إيجاب النفي بخلاف دلالته في حالة الإثبات ، فلا تعارض ، وعليك بمراعاة هذه الدقيقة والإشارة إلى هذه الحقيقة»[٣٩] .

ويقول الشيخ سيد سابق : «وهذه الآيات ممكنة في ذاتها والعقل لا يمنعها والعلم لا ينفيها ، والواقع يؤيدها ، فقد قام رجال وادعوا أنهم رسل الله ، وتحدوا أممهم بما أظهروه من هذه الخوارق ، ورآها الناس عيانا ، وآمن بها ألوف وألوف عبر القرون والأجيال بل إن العلم الحديث نفسه أثبت أن النواميس الطبيعية يمكن تخلفها عن إحداث آثارها بنواميس أخرى أرقى منها ، كما أثبت العلم أيضا أن معجزات الأنبياء كلها صحيحة ، والناظر فيما كتبه العلماء المحدثون عن عالم الأرواح وعجائب استحضارها وغرائب التنويم المغناطيسي وما إلى ذلك يدرك لا محالة أن هذه الخوارق أمور ممكنة ، وليس شيء منها بمحال أصلا ، والمؤمنون بالله لا يتوقفون في تصديق شيء ، متى ثبت بالدليل القاطع الذي لا يتطرق إليه الشك ، لأنهم يعلمون أنه سبحانه لا يتقيد بالسنن التي وضعها»[٤٠] .

ومن هذين النصين يتبين لنا أن المعجزات ممكنة عقلا وواقعة فعلا بل هي ضرورية للأنبياء وإظهارها واجب ليتم بها المقصود من تبليغ الرسالة فقد ثبتت معجزة القرآن الكريم بالتواتر ، وقص علينا القرآن الكريم كثيرا من معجزات الأنبياء السابقين ومعجزات النبي ﷺ ، ولو لم تكن ممكنة لما وقعت ، ومخالفتها للسنن العادية لا ينفي أمكانها ولا وقوعها لأنها لا تخضع لهذه السنن وإنما تخضع لقانون آخر وهو قدرة الله تبارك وتعالى .

٨ - أقسامها :

للعلماء في تقسيم المعجزات عامة ومعجزات النبي ﷺ خاصة ، وجهات نظر ، فمنهم من قسم المعجزات باعتبار المدركين لها إلى حسية ومعنوية ، ومنهم من قسمها باعتبار سندها إلى متواترة ، وغير متواترة ، ومنهم من قسمها باعتبار

---

٣٩ - غاية المرام في علم الكلام - الآمدي ص٣٢٧ - ٣٣٠ .

٤٠ - العقائد الإسلامية - سيد سابق ص٢٠٨ ، ٢٠٩ .

زمنها إلى منقرضة وباقية ، ومنهم من قسمها باعتبار التحدي إلى متحدي بها وغير متحـــدي بها ، وإليك نماذج من أقـوال العلماء في هذه التقسيمات ولما كانت الأوصاف كلها لا تنطبق إلا على معجزات محمد ﷺ فإننا نكتفي بها .

قال القـرطبي : «أعلم أن المعجـزات على ضربـين الأول ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ ، والثاني ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله واستفاضت بثبوته ووجوده ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة ، ومن شرطه أن يكـون النـاقلون له خلقـا كثـيرا وجمـا غفيرا ، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علما ضروريا ، وأن يستـوي في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب ، وهذه صفة نقل القرآن»[٤١] .

أما ابن كثير فيقسم المعجزات إلى قسمين معنوية وحسية ثم يذكر من المعنوية القرآن الكريم وأخلاقه عليه السلام . ثم يقسم الحسية إلى أنواع منها المعجزات السـماوية كانشقـاق القمـر ، ومنهـا المعجـزات الأرضية وهـذه منهـا ما يتعلق بالجمادات ، ومنها ما يتعلق بالحيوانات ومنها الاخبار بالغيبيات . . . وهكذا»[٤٢] .

أمـا الـزرقاني فيقسمها ثلاثة أقسام الأول ما علم قطعا ونقل إلينا متواترا كالقـرآن الكـريم فلا مرية ولا خلاف في مجيء النبي ﷺ به وظهوره من قبله واستدلاله به على ثبوت نبوته وكونه رسولا إلى الناس كافة ونحو ذلك وإن أنكر مجيئه به وظهوره من قبله أحد فهو معاند جاحد وإنكاره كانكار وجود محمد ﷺ في الدنيا ، الثاني : ما اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام ، الثالث : ما لم يشتهر ولا انتشر واختص به الواحد والأثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره ، ولكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى المقصود به الاعجاز واتفقا على الاتيان بالمعجـز كما قدمناه أنه لا مرية في جريان معانيها على يديه ، وإذا

---

٤١ - الجامع لأحكام القرآن القرطبي جـ١ ص٧٢ .

٤٢ - البداية والنهاية - ابن كثير باب دلائل النبوة جـ٦ ص٦٥ - ٢٥٧ .

انضم بعضها إلى بعض أفادت القطع انتهى ملخصا»[٤٣] .

ويقسمها القسطلاني تقسيمات عدة بما يدل على الشمول والوفاء بكل الأغراض وذلك لم يتوفر لأحد من الأنبياء غير محمد ﷺ يقول : « وأنت إذا تأملت معجزاته وباهر آياته وكراماته عليه السلام وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمائع والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والآجل إلى غير ذلك مما لو عد لطال»[٤٤] . ثم عاد فقسمها تقسيما آخر باعتبار حياة النبي ﷺ فأدخل فيها الارهاصات والكرامات فقال : «ثم حاصل معجزاته وباهر آياته وكراماته كما نبه عليه القطب القسطلاني يرجع إلى ثلاثة أقسام : ماض وجد قبل كونه فقضي بمجده ، ومستقبل وقع بعد مواراته في لحده ، وكائن معه من حين حمله ووضعه إلى أن نقله الله إلى محل فضله وموطن جمعه»[٤٥] . وهذا التقسيم يدخل في المعجزة ما سبق أن أخرجناه منها من : إرهاصات وكرامات وغير ذلك لأن المعجزة هي ما وقع من خوارق العادات في فترة الرسالة فقط .

وقسمها الحلبي بالنسبة للتحدي بها فقال : «باب ذكر نبذ من معجزاته ﷺ التي يمكن التحدي بها سواء تحدى بها بالفعل كالقرآن الكريم وتمني اليهود الموت أو لا»[٤٦] . وهذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقا من أن التحدي وارد في كل معجزة صراحة أو ضمناً .

أما بالنسبة إلى الموقف منها إثباتا أو نفيا قبولا أو رفضا فقد قسمها بعض العلماء إلى قسمين متواترة يكفر منكرها ، وغير متواترة يفسق منكرها . يقول الشيخ حسن أيوب : «معجزاته ﷺ التي أيده الله بها كثيرة منها ما هو متواتر

---

٤٣ - شرح الزرقاني على المواهب جـ٥ ص ٨١ .

٤٤ - المواهب اللدنية جـ٥ ص١٠٢ .

٤٥ - السابق جـ٥ ص١٠٥ .

٤٦ - السيرة الحلبية جـ٣ ص٢٧٨ .

كالقـرآن ، ومنهـا ما ليس متـواتـرا كتسبيح الحصى في كفـه ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ . فمن أنكر المتواتر من المعجزات كان كافرا ، ومن أنكر الصحيح الثابت منها كنبع الماء من بين أصابعه كان فاسقا ، وتنقسم معجزاته ﷺ إلى قسمين :

١ - معنوية كالقرآن .

٢ - حسية كنبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام بدعائه»[٤٧] .

وقد يطلق بعض العلماء على القرآن الكريم اسم المعجزة العقلية العلمية كما فعل الشيخ رشيد رضا[٤٨] .

ويقسم الشيخ رشيد المعجـزات إلى قسمين فيقول تحت عنوان «بحث في الآيات الكـونية التي أيد الله بها رسله ، وما يشبه بعضها من الكرامات ، وما يشتبـه بها من خوارق العـادات وضـلال المـاديين والخرافيين فيها : آيات الله نوعان ، النوع الأول : الآيات الجارية على سننه تعالى العامة المطردة في نظام الخلق والتكـوين وهي أظهـرهـا وأدلهـا على كمال قدرته وإرادته وإحاطة علمه وحكمته وسعة فضله ورحمته . والنوع الثاني : الآيات الجارية على خلاف السنن المعروفة للبشر وهي أقلها وربما كانت أدلها عند أكثر الناس على اختياره عز وجل في جميع ما خلق وما يخلق وكون قدرته ومشيئته غير مقيدتين بسنن الخلق التي قام بها نظام هذا العالم ، فالسنن مقتضى حكمته واتقانه لكل شيء خلقه ، وقد يأتي بما يخالفهـا لحكمة أخرى من حكمته البالغة ، ولولا هذا الاختيار لكان العالم كالآلات التي تتحـرك بنظام دقيق لا علم لها ولا إرادة ولا اختيار[٤٩] . . . ثم يقول : والمعجزات قسمان تكوينية وروحانية تشبه الكسبية ، والمعجزات كلها من الله تعالى لا من كسب الأنبياء كما نطق به القرآن ولكنها بحسب مظهرها قسمان قسم لا يعرف له سنة إلهية يجري إليها فهو يشبه الأحكام الاستثنائية في قوانين الحكومات . . وقسم يقع بسنة إلهية روحانية لا مادية أما المأثور من آيات الله

---

٤٧ - تبسيط العقائد الإسلامية ص ٢١٠ .

٤٨ - الوحي المحمدي ص ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٥ .

٤٩ - السابق ص ٢٢٨ .

تعالى التي أيد بها موسى عليه السلام وأثبتها القرآن له كالآيات التسع بمصر فهي من القسم الأول ، ولم يكن شيء منها بكسب له حقيقي ولا صوري ، وكذلك الآيات الأخرى التي ظهرت في أثناء خروجه ببني اسرائيل ومدة التيه ، بل ذلك كان بفعل الله تعالى بدون سبب كسبي لموسى عليه السلام إلا ما يأمره الله تعالى به من ضرب البحر والحجر بعصاه التي هي آيته الكبرى ، ولم ينقل عن أحد من الأنبياء آية كهذه الآيات فضلا عمن دونهم ولا هي مما يحتمل أن يكون بسبب من الأسباب الروحية التي تكون لأحد من الناس بالرياضة الروحية وتوجيه الإرادة أو خواص المادة وقواها . وأما المسيح عليه السلام فالآيات التي أيده الله تعالى بها على كونها خارقة للعادات الكسبية وعلى خلاف السنن المعروفة للناس ، قد يظهر فيها أنها كلها أو جلها حدث على سنة الله في عالم الأرواح ، كما كان خلقه كذلك . فلا غرو أن كانت مظاهر آياته أعظم من مظاهر سائر الروحيين من الأنبياء والأولياء كالكشف وشفاء بعض المرضى»[٥٠] .

وهكذا كان تقسيم العلماء للمعجزات باعتبارات عدة ، وهي وإن كانت كلها تتلاقى حول حقيقة واحدة هي : خرق العادة ، ومخالفة السنن ، والتحدي والاعجاز إلا أننا نفضل تقسيم ابن كثير لها إلى معنوية وحسية فذلك أوضح التقسيمات وأيسرها لأنه ينصب على المعجزة نفسها ، كما أنه التقسيم المناسب لبحثنا في المعجزات الحسية للنبي ﷺ .

وبهذا الفصل نكون قد وضعنا الأسس والقواعد والمعايير التي سنحتكم إليها ونستعين بها في الكلام عن المعجزات الحسية من وجهة نظر المثبتين لها والمنكرين أو المؤولين لها لنتعرف على حجة كل منهما ونختار الصحيح من بينها . ومن هنا سنبين في الفصل التالي «المعجزات الحسية للنبي ﷺ إجمالا ثم نفصل القول في بعضها ، ثم نبين في فصل آخر وجهات نظر الرافضين لها والمنكرين وشبهاتهم لنرد عليها ونبين بطلانها . وبالله التوفيق .

---

٥٠ - الوحي المحمدي ص٢٤٢ .

الفصـــل الثـانـي

« المعجزات الحسية للنبيﷺ إجمالا وتفصيل بعضها »

عرفنا في الفصل السابق أن المعجزات تنقسم إلى قسمين : معنوية وأهمها القرآن الكريم والأخلاق النبوية والشمائل ، وحسية وهذه موضوع بحثنا وحديثنا في هذا الفصل :

١- معناها :

والمقصـود بالمعجزات الحسية ، ما أظهره الله تعالى على يد رسوله ﷺ من خوارق العادات التي يحسها الناس بأدوات الحس من بصر أو سمع أو لمس أو شم أو ذوق ، وما يقع من هذه الخوارق في المناسبات المختلفة سواء كان بطلب من الناس أو بدون طلب منهم ، اطلعوا عليه جميعا أو بعضهم ، في السماء أو في الأرض ، في الإنسان ، أو في الحيوان ، في النبات أو في الجماد ، أمام المؤمنين أو المشركين ؛ في السلم أو في الحرب ، في الرخاء أو في الشدة ، في الحاضر أو في الغائب .

٢ - كثرتها :

والمعجزات الحسية كثيرة جدا ، ولكن منها ما هو صحيح ومنها ما هو غير صحيح ، وربـما كان ذلـك هو السبب في كثرتها الزائدة وإنكار البعض لها ، وسنحاول - قدر الاستطاعة - أن نبين الصحيح من غيره بعد أن نقدم عرضا إجماليا لها .

وقد ألف في دلائل النبوة والمعجزات الحسية منها بعض العلماء فمن ذلك : دلائل النبوة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، وهو كما يقول ابن كثير كتاب حافـل في ثلاث مجلدات ، دلائل النبوة للفقيه أبي محمد عبد الله بن حامد ،

ودلائل النبوة للبيهقي ، والخصائص الكبرى للسيوطي . . وغير ذلك ممن عقدوا لها فصولا في مؤلفاتهم في التاريخ والسيرة النبوية . ولكن الأمر لم يخل من مبالغات فمثلا : قال الحلبي «وقد ذكر بعض العلماء أن معجزاته ﷺ لا تنحصر ، وفي كلام بعض آخر أنه ﷺ أعطى ثلاثة آلاف معجزة ، أي غير القرآن فإن فيه ستين وقيل سبعين ألف معجزة تقريبا»[٥١] .

وقال القسطلاني : «لو أعملنا أنفسنا في حصرها لفتى المدى في ذكرها» أي لانتهى العمر وفرغ في عدها ولم يحط بها ولو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم به من مواهبه ، ولكان الملم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها»[٥٢] .

ومع يقيننا بأن رسول الله ﷺ أعظم خلق الله على الأطلاق وأفضل الأنبياء والمرسلين إلا أننا نحس المبالغة في تكثير المعجزات إلى هذا الحد الذي يجل عن الحصر ، وإذا حصر بلغ هذه الآلاف الكثيرة التي أشار إليها بعضهم ، وربما كان ذلك ناشئا من عد بعضهم جميع ما وقع للنبي ﷺ منذ ولادته - بل وما سبق ذلك وما صاحبه من إرهاصات ، وما وقع لبعض أصحابه وأتباعه والأولياء من أمته بعد مماتـه من كرامات ، بل وما أيد الله تعالى به الرسل السابقين من معجزات - معجزات له ﷺ على اعتبار أن كرامة الولي معجزه لنبيه الذي يتبعه[٥٣] ، وأن جميع الرسل السابقين بشروا به وكانوا تمهيدا له[٥٤] ، وربما كان ذلك من فرط حبه ﷺ ومجابهة أعدائه من اليهود والنصارى ، ولكن هذا كله لا يشفع للمبالغة ولا للتجاوز في نسبة أو إسناد ما لم يثبت لرسول الله ﷺ ولا اعتبار ما ليس من المعجزات معجزة ، وقد سبق أن بينا في الفصل السابق تعريف المعجزة ، وما يدخل فيها وما ليس منها وعرفنا أن الكرامات والإرهاصات ومعجزات السابقين لا تحسب من معجزاته ﷺ لأنها ليست مقرونة بدعوى النبوة والرسالة ، كما أن ما

---

٥١ - السيرة الحلبية جـ٣ ص٢٧٩ .

٥٢ - شرح الزرقاني على المواهب اللدنية جـ٥ ص١٠٢ .

٥٣ ، ٥٤ - شرح الزرقاني على المواهب اللدنية جـ٥ ص٨١ .

لم يثبت منها لا يجوز نسبته إلى النبي ﷺ . وعلى ذلك تتضح المبالغة التي أشرنا إليها .

ولذا سنحاول في هذا الفصل وفي الفقرة القادمة أن نقدم إحصاء إجماليا بما ثبت ولو بطريق الآحاد من المعجزات الحسية ثم نتبع ذلك بدراسة تفصيلية لما اشتهر منها وبلغ حد التواتر ، ولا نعني بهذا الإحصاء أن هذه هي كل معجزاته ﷺ الحسية ، ولكن هذا ما توصلنا إليه في حدود إمكانياتنا ووقتنا ومراجعنا ، ولذا قد تكون هناك معجزات حسية أخرى لم نقف عليها في هذا البحث وقد نرجع إليها في بحث آخر إن شاء الله .

وسأعتمد في هذا الإحصاء الإجمالي على تقسيم ابن كثير للمعجزات الحسية فهو أوضح التقاسيم وأوفاها وإن كان لم يذكر كل ما سنذكره في هذا الإحصاء الذي سنستعين فيه بعدة مصادر أخرى وبخاصة في المعجزات التي سنوليها عناية خاصة في الفقرة التالية لفقرة الإجمال .

٣ - الاحصاء الاجمالي للمعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم :

سبق أن عرفنا أن ابن كثير قسم المعجزات إلى معجزات سماوية أي تتعلق بالسماء وما فيها ومعجزات أرضية تتعلق بالأرض وما فيها ثم قسم المعجزات الأرضية إلى ما يتعلق بالأحياء من إنسان وحيوان ونبات ، وما يتعلق بالجماد من حجر وطعام وماء ونحو ذلك ، وإليك الآن بيان ما يندرج تحت كل قسم من هذه المعجزات ومصادرها .

أ. المعجزات السماوية :

١ - انشقاق القمر فرقتين في مكة[٥٥] وسنعود إليه في الفقرة التالية .

٢ - الاستسقاء والاستصحاء[٥٦] .

---

٥٥ - انظر في ذلك : القرآن الكريم سورة القمر آية ١ ، كتب التفسير كتب السنة الصحاح ، أصول الاعتقاد للطبري ، الرد على النصارى للجعفري ، حدائق الأنوار لابن الديبع ، البداية والنهاية جـ٦ ، وكتب السيرة النبوية والتاريخ . وغير ذلك كثيراً جداً .

٥٦ - انظر في ذلك : عون الباري جـ٢ ص٤٠١ ، ٤٠٢ ، البداية والنهاية جـ٦ ص٨٧ ، ٩٣ ، السيرة الحلبية جـ٣ ص٢٨٣ .

٣ - الإسراء والمعراج[٥٧] .

٤ - احتباس الشمس حتى تصل عير قريش بعد الإسراء والمعراج[٥٨] .

٥ - امداده ﷺ بالملائكة في حروبة ورؤية الصحابة لهم[٥٩] .

ب ـ المعجزات الأرضية :

أولاً : في مجال الانسان :

١ - أنه ﷺ تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تؤله[٦٠] .

٢ - أنه ﷺ نفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع فبرئت ، وكذلك ساق عبد الله بن عتيك فقام وما به قلبة[٦١] .

٣ - وأنه نفث على يد معوذ بن عفراء وقد قطعها عكرمة بن أبي جهل يوم بدر وجاء يحملها فألصقها رسول الله ﷺ فالتصقت ونفث على عاتق خبيب وقد أصيبت يوم بدر بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله ﷺ فالتصق[٦٢] .

٤ - ورد عين قتادة بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه[٦٣] .

٥ - شفاء عين علي في خيبر[٦٤] . وغير ذلك .

---

٥٧ - القرآن الكريم وكتب الصحاح ، وكتب السيرة والتاريخ والتفسير وغيرها .

٥٨ - حدائق الأنوار جـ١ ص١٩٥ ، والشفا جـ١ ص١٨٥ ، ودلائل النبوة جـ٢ ص١٤٩ .

٥٩ - القرآن الكريم ، كتب التفسير ، كتب السنة الصحيحة ، الرد على النصارى ص١١٢ ، خاتم النبيين جـ٢ ص٧٤٩ ، السيرة النبوية لأحمد بن زيني جـ٣ ص٢٨٩ .

٦٠ - السيرة الحلبية جـ٣ ص٢٨١ .

٦١ - الحلبية جـ٣ ص٢٨١ ، الحدائق جـ١ ص٢٦٥ ، البخاري في عدة مواضع والخصائص الكبرى : ١/٢٣٥ ، إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٦ .

٦٢ - الحلبية جـ٣ ص٢٨١ ، ص٢٤٤ .

٦٣ - السابق ص٢٨٢ ، إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٦ ، والرد ص١٠٨ ، والحدائق ص٢٤٣ .

٦٤ - عون الباري جـ٤ ص٣٩٦ ، الإحياء جـ٢ ص٣٨٦ . ومسلم والترمذي وابن ماجه

ثانياً : في مجال الحيوان :

١ - كان لأبي طلحة فرس بطيء السير فلما ركبه النبي ﷺ أصبح لا يجاريه فرس[٦٥] .

٢ - وكان لجابر جمل قد أعيا فنخسه النبي ﷺ فنشط حتى كان ما يملك زمامه[٦٦] .

٣ - مسحه ﷺ أضرع عدة شياه فدر لبنها ولم تكن أهلا لذلك كغنم ابن مسعود ، وشاة أم معبد وغيرهما[٦٧] .

٤ - شكوى البعير له قلة العلف وكثرة العمل[٦٨] .

٥ - سجود البعير له ﷺ الذي استصعب على أهله وصار كالكلب الكلب لا يقدر أحد أن يقرب إليه[٦٩] .

٦ - سجود الغنم له ﷺ في بعض حوائط الأنصار[٧٠] .

٧ - سؤال الظبية له ﷺ أن يخلصها من صائدها لترضع ولدها[٧١] .

٨ - شهادة الضب له ﷺ بالرسالة[٧٢] .

---

٦٥ - البخاري كتاب الجهاد والسير ، والحدائق جـ١ ص٢٥٩ .

٦٦ - البخاري كتاب الجهاد والسير ، ومسلم كتاب المساقاة ، ودلائل النبوة للأصبهاني ص١٥٦ ، ١٥٧ ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢٥٩ .

٦٧ - إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٦ ، خاتم النبيين جـ١ ص٦٣٠ ، ٦٣٢ ، أصول الاعتقاد جـ٤ ص٧٧٧-٧٨١ ، السيرة النبوية للندوي ص١٩٤ ، والحلبية جـ٣ ص٢٨١ .

٦٨ - الحلبية جـ٣ ص٢٨٤ ، الحدائق جـ١ ص٢٣٦ ، دلائل النبوة للأصبهاني ١٣٥-١٣٦ والرد ص١٠٥ والبداية والنهاية جـ٦ ص١٣٥ .

٦٩ - الحلبية جـ٣ ص٢٨٤ ، الجدائق جـ١ ص٢٣٦ ، دلائل النبوة للأصبهاني ١٣٦ ، والرد ص١٠٥ .

٧٠ - الحلبية جـ٣ ص٢٨٤ ، الحدائق جـ١ ص٢٣٥ ، دلائل النبوة للأصبهاني ص١٣٥ ، شمائل الرسول لابن كثير ص٢٧٣ ، والبداية والنهاية جـ٦ ص١٤٣ .

٧١ - الحلبية جـ٣ ص٢٨٤ ، الحدائق جـ١ ص٢٣٧ ، دلائل النبوة للأصبهاني ص١٣٣ .

٧٢ - الحلبية جـ٣ ص٢٨٤ ، الحدائق جـ١ ص٢٣١ ودلائل النبوة للأصبهاني ص١٣٤ ، الرد ص١٠٥ .

٩ - حديث الذئب والأسد والغزالة[٧٣] .

١٠ - إغلاق فتحة غار ثور بالعنكبوت والحمامتين[٧٤] .

ثالثاً : في مجال النبات :

١ - أنه ﷺ دعا شجرتين فأتتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا[٧٥] .

٢ - أمر أنسا أن يتطلف إلى نخلاته يقول لهن أمركن رسول الله ﷺ أن تجتمعن ليقضي حاجته بينكن فلما قضى حاجته أمرهن بالعودة إلى أماكنهن فعدن[٧٦] .

٣ - شهادة شجرة السمرة برسالته أمام الأعرابي[٧٧] .

٤ - تسليم الشجرة عليه ﷺ أمام الأعرابي[٧٨] .

رابعا : في مجال الجمادات :

١ - نبع الماء من بين أصابعه ﷺ في عدة مناسبات[٧٩] .

٢ - تكثير الطعام اليسير في عدة مناسبات[٨٠] .

---

٧٣ - البداية والنهاية لابن كثير جـ٦ ص١٤٨ ، الحلبية جـ٣ ص٢٨٤ .

٧٤ - خاتم النبيين جـ١ ص٦٢٤ × ٦٢٦ ، السيرة النبوية للندوي ص١٩٠ ، فقه السيرة ص١٧٤ ، تفسير ابن عطية جـ٦ ص٤٩٧ ، والحلبية جـ٣ ص٢٨١ .

٧٥ - إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٥ والحديث أخرجه أحمد بسند صحيح ، والحلبية جـ٣ ص٢٨٣ .

٧٦ - الحلبية جـ٣ ص٢٨٣ . ومثله في مسلم كتاب الزهد والرقائق .

٧٧ - الحدائق جـ١ ص٢٢١ والحديث في الدارمي والمطالب العالية وأبي يعلي والبزار والطبراني وابن حبان بسند صحيح والحلبية جـ٣ ص٢٨٣ .

٧٨ - الحدائق جـ١ ص٢٢٣ ، دلائل النبوة للأصبهاني ص١٣٨ ، ومثله في الحلبية جـ٣ ص٢٨٣ ، وانظر البداية والنهاية جـ٦ ص١٢٣-١٢٥ ، والمواهب اللدنية جـ٥ ص١٠٢-١٠٦ ، والرد على النصارى ص١٠٣ .

٧٩ - متفق عليه ، وانظر : إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٤ ، المواهب اللدنية جـ٥ ص١٠١ .

٨٠ - متفق عليه ، وانظر : المواهب جـ٥ ص١٠١-١٠٦ ، والإحياء جـ٢ ص٣٨٤ ، الرد على النصارى ص١٠٠ ، الحدائق جـ١ ص٢٢١-٢١٨ ، خاتم النبيين جـ٢ ص٩٢٦-٩٢٧ ، الاصطفا جـ٣ ص٢٣٢ ، والحلبية جـ٣ ص٢٩٣ ، البداية والنهاية جـ٦ ص١٠١-١٢٣ وفيه أحاديث كثيرة .

٣ - تسبيح الحصى والطعام في يديه ﷺ[٨١] .

٤ - قوله ﷺ لجبل أحد حين أرتجف بهم «أثبت أحد» فثبت[٨٢] .

٥ - تسليم الحجر عليه ﷺ[٨٣] .

٦ - سقوط الأصنام حول الكعبة يوم الفتح بإشارته ﷺ[٨٤] .

٧ - كدية (صخرة) الخندق التي لم يقدر أحد على إزالة شيء منها فتحولت بضربة كثيبا[٨٥] .

٨ - حنين الجذع بعد تحوله ﷺ عنه إلى المنبر[٨٦] .

٩ - حديث ذراع الشاة المسمومة له ﷺ في خيبر[٨٧] .

١٠ - رمي التراب والحصباء على وجوه ورؤوس الكفار في بدر وحنين وهزيمتهم بذلك ، وكذلك ليلة الهجرة[٨٨] .

---

٨١ - صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة وسنن الترمذي - المناقب ، وانظر : حدائق الأنوار جـ١ ص٢٢٧ ، البداية والنهاية جـ٦ ص١٣٢-١٣٥ ، والحلبية جـ٣ ص٢٨٤ ، إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٦ . الرد على النصارى ص١٠٣ .

٨٢ - البخاري وأحمد وأبو داود، حدائق الأنوار جـ١ ص٢٢٧ ، الرد على النصارى ص١٠٣ .

٨٣ - الترمذي باب المناقب ، والرد على النصارى ص١٠٣ .

٨٤ - البخاري باب المظالم ، الرد ص١٠٣ ، ١٠٤ ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢٢٨ ، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير . دلائل النبوة للأصبهاني ص١٨٨ ، وخاتم النبيين جـ٢ ص١٢١٥ .

٨٥ - الحلبية جـ٣ ص٢٩٥ ، الحدائق ص٢٦٥ ، خاتم النبيين ص٩٢٤-٩٢٧ ، فقه السيرة ص٣٠٨ ، السيرة النبوية للندوي ص٢٨٤ .

٨٦ - متفق عليه ، وانظر : الحدائق ص٢٢٥ ، الاصطفا جـ٣ ص٢٣٣ ، والرد ص١٠٢ ، أصول الاعتقاد جـ٤ ص٧٩٧ ، والحلبية جـ٣ ص٢٨٤ .

٨٧ - الحلبية جـ٣ ص٢٨٤ ، والإحياء جـ٢ ص٣٧٦ ، وكتب السنة والسيرة ، خاتم النبيين جـ٢ ص١٠٦٦ .

٨٨ - الحدائق جـ١ ص٢٦٦ ، وخاتم النبيين جـ٢ ص٧٦١ ، جـ١ ص٦٢٠ ، تفسير ابن عطية جـ٦ ص٢٤٩ ، والحديث أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ، إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٤ .

خامسا : إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم :

والأحاديث في ذلك كثيرة منها :

١ - دعوته ﷺ لعمر بن الخطاب أن يعز الله الإسلام به[٨٩] .

٢ - دعوته ﷺ لعلي بن أبي طالب أن يذهب عنه الحر والبرد فلم يشك واحدا منهما وكذلك دعاؤه لشفائه من المرض فلم يعد إليه[٩٠] .

٣ - دعائه ﷺ لحذيفة يوم الخندق أن يذهب عنه البرد[٩١] .

٤ - دعاؤه للضرير فرد الله إليه بصره[٩٢] .

٥ - دعاؤه لعبد الله بن عباس أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين[٩٣] .

٦ - دعاؤه لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد فكان كما دعا له[٩٤] .

٧ - دعاؤه لأم أبي هريرة بالاسلام فأسلمت[٩٥] .

٨ - دعاؤه بالبركة في تمر حائط جابر فأوفى منه ما عليه وفضل منه[٩٦] .

٩ - دعاؤه على عتيبة ابن أبي لهب بأن يسلط عليه كلب فافترسه الأسد[٩٧] .

١٠ - دعاؤه بالاستسقاء والاستصحاء كما تقدم[٩٨] .

١١ - دعاؤه بحب المدينة[٩٩] .

١٢ - دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف[١٠٠] .

١٣ - دعاؤه لفاطمة[١٠١] .

١٤ - دعاؤه للنابغة الجعدي[١٠٢] .

١٥ - دعاؤه على كسرى[١٠٣] .

١٦ - دعاؤه على من أكل بشماله[١٠٤] .

سادسا : إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيبيات :

وهذا باب كبير والأحاديث فيه كثيرة منها :

١ - ما جاء في كتاب الله تعالى وهو معجزته الكبرى وفيه أخبار كثيرة كقوله تعالى

(٨٩ - ٩٨) السيرة الحلبية جـ٣ ص٢٨٢ ، ٢٨٣ ، وانظر أيضا : حدائق الأنوار جـ١ ص٢٤٩-٢٥٦ ، ومن كتب السنة الصحيحة (البخاري ومسلم) .

(٩٩ - ١٠٤) حدائق الأنوار جـ١ ص٢٤٩-٢٥٦ ، والبخاري ، ومسلم ، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤/١٠٠ .

﴿ الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾[١٠٥] ، ﴿ لقد صدق رسول الله ﷺ الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾[١٠٦] . ﴿ يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم ﴾[١٠٧] .

٢ - ما أخبر به ﷺ في سنته فجاء كما أخبر وهو كثير ومنه :

أ - حديث : زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها[١٠٨] .

ب - إخباره بأن الطاعون لا يدخل المدينة ولا الدجال[١٠٩] .

جـ - إخباره بفتح بيت المقدس والشام والعراق وظهور الأمن[١١٠] .

د - إخباره بذهاب فارس وذهاب قيصر[١١١] .

هـ - إخباره بما يحدث بين المسلمين من الفتن[١١٢] .

و - إخباره برد بأس المسلمين بينهم وتسليط الأعداء عليهم إذا فشا فيهم الزنا والربا[١١٣] .

ز - إخباره بعلامات الساعة الصغرى والكبرى[١١٤] .

ح - إخباره عن الريح في غزوة تبوك[١١٥] .

ط - إخباره عن تخريب الكعبة[١١٦] .

---

١٠٥ - الروم : ١ ، ٤ .

١٠٦ - الفتح : ٢٧ .

١٠٧ - التوبة : ٩٤ .

١٠٨ - سنن الترمذي أبواب الفتن ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢٧٤ .

١٠٩ - متفق عليه . حدائق الأنوار جـ١ ص٢٧٤ .

١١٠ - البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة ، الحدائق جـ١ ص٢٧٥ .

١١١ - متفق عليه . الحدائق جـ١ ص٢٧٥ ، عون الباري جـ٤ ص٤٢٩ .

١١٢ - سنن أبي داود ، كتب السنة . الحدائق جـ١ ص٢٧٧ .

١١٣ - متفق عليه . الحدائق جـ١ ص٢٧٧ .

١١٤ - متفق عليها . الحدائق جـ١ ص٢٧٧ - ٢٨٠ .

١١٥ - عون الباري جـ٣ ص٨٣-٨٥ .

١١٦ - السابق جـ٣ ص١٧٦ .

ي - أنذر عثمان أن تصيبه بلوى بعدها الجنة[١١٧] .

ك - أن عمارا تقتله الفئة الباغية[١١٨] .

ل - أن الحسن يصلح الله به فئتين من المسلمين عظيمتين[١١٩] .

م - إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار[١٢٠] .

ن - أخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب وبمن قتله[١٢١] .

س - أخبر بمصارع صناديد قريش يوم بدر[١٢٢] .

ع - بأن طوائف من أمته يغزون البحر[١٢٣] .

ف - أخبر فاطمة بأنها أول أهله لحاقا به[١٢٤] .

ص - أخبر نساءه بأن أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش لأنها أكثرهن صدقة[١٢٥]

ق - إخباره لا يبقى أحد من أصحابه بعد المائة[١٢٦] .

ر - إخباره الأنصار بأنهم سيلقون أثرة من بعده فاصبروا[١٢٦] .

ش - أتى برجل سارق فقال اقتلوه فقتل في زمن أبي بكر[١٢٦] .

ت - قوله لنسائه أيتكن تنبحها كلاب الحوأب وأيتكن صاحبة الجمل يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت . فكانت عائشة [١٢٦] .

---

١١٧ - إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٥ ، والحديث متفق عليه ، الحلبية جـ٣ ص٢٨٥ .

١١٨ - أخرجه مسلم من حديث أبي قتادة والبخاري من حديث أبي سعيد ، الإحياء جـ٢ ص٣٨٥ ، وهون الباري جـ١ ص٦١٥ .

١١٩ - أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة ، إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٥ ، والحلبية جـ٣ ص٢٨٨ .

١٢٠ - متفق عليه . إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٥ .

١٢١ - في الصحيحن من حديث أبي هريرة ، ا٥حياء جـ٢ ص٣٨٥ ، الحلبية جـ٣ ص٢٨٨ .

١٢٢ - أخرجه مسلم من حديث عمر ، الإحياء جـ٢ ص٣٨٦ .

١٢٣ - متفق عليه من حديث أم حرام ، الإحياء جـ٢ ص٣٨٦ .

١٢٤ - متفق عليه . الإحياء جـ٢ ص٣٨٦ .

١٢٥ - أخرجه مسلم من حديث عائشة ، الإحياء جـ٢ ص٣٨٦ .

١٢٦ - الحلبية جـ ٣ ص٢٨٥ .

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي وقعت كما أخبر عليه الصلاة والسلام .

سابعاً : حمايته صلى الله عليه وسلم من الأعداء :

والأمثلة على ذلك كثيرة تطبيقاً لحكم الله تعالى ووعده عز وجل في قوله : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾[١٢٧] ، وقوله : ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾[١٢٨] ، وقوله : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾[١٢٩] .

والأحاديث المروية في هذا كثيرة وهي مروية في كتب الصحاح فمن ذلك :

١ - حمايته من سراقة حينما حاول اللحاق به في رحلة الهجرة فعثرت به فرسه عدة مرات وسقط عنها ، ولم ينقذه إلا أمان رسول الله ﷺ وحينئذ علم أن محمدا منصور بأمر الله تعالى[١٣٠] .

٢ - حمايته من الأعرابي الذي أراد قتله ﷺ في غزوة ذات الرقاع[١٣١] .

٣ - حمايته من الشاة المسمومة في خيبر (وقد مر ذكرها) .

٤ - عصمة الله له من أعدائه من المشركين في الغزوات العديدة

٥ - حمايته من أم جميل امرأة أبي لهب حين حاولت قتله بحجر فأعماها الله عنه .

٦ - وحمايته من يهود بني النضير حين حاولوا قتله من أعلى الحائط التي كان يستند إليها .

٧ - حمايته من المشركين يوم تجمعوا عليه في فجر الدعوة وأبو بكر يقول «اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله» فانصرفوا عنه .

٨ - حمايته من المشركين في غزوة أحد .

وغير ذلك كثير .

---

١٢٧ - المائدة : ٦٧ .

١٢٨ - الأنفال : ٣٠ .

١٢٩ - يس : ٩ .

١٣٠ - خاتم النبيين جـ١ ص٦٢٦ ، السيرة النبوية للندوي ص١٩٢ ، فقه السيرة ص١٧٦ ، سيرة ابن هشام ق١ ص٤٨٩ ، ٤٩٠ ، البخاري باب هجرة النبي (ﷺ) .

١٣١ - البخاري كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع ، والسيرة النبوية للندوي ص٢٧٨ .

وبعد هذا الإحصاء الإجمالي لعدد من معجزات النبي ﷺ الحسية ومعرفة مصادرها وهي قرابة ثمانين معجزة نأتي إلى ما وعدنا به سابقا وهو التفصيل في بعضها للوقوف على طرق ثبوته وبيان مدى التيقن والتحقق من وقوعه وآراء العلماء في ذلك حتى لا يبقى شك بعد ذلك .

٤ - البيان التفصيلي لبعض المعجزات الحسية :

ونختار في هذه الفقرة بعض المعجزات التي سبقت الإشارة إليها إجمالا ونتوقف عندها لنعرف إلى أي مدى تحقق المسلمون منها وهي نماذج لما سواها . وقد اخترنا من هذه المعجزات أربعا هي :

١ - انشقاق القمر .

٢ - نبع الماء من بين أصابعه .

٣ - تكثير الطعام القليل .

٤ - حنين الجذع .

أولاً : انشقاق القمر :

ثبتت هذه المعجزة الحسية بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وأجمع على ثبوتها الخلف والسلف ولم يخرج عن ذلك إلا جاحد معاند ، وإليك بيان ذلك :

١ - قال الله تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾[١٣٢] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : «قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة ، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : «خمس مضين ، الروم ، والدخان ، واللزام ، والبطشة والقمر» وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أي انشقاق القمر قد وقع في زمان

---

١٣٢ - القمر : ١ ، ٢ .

النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات .[١٣٣] .

٢ - ذكر الأحاديث الواردة في ذلك ومصادرها وطرقها وألفاظها :

أ - رواية أنس بن مالك : قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال : «اقتربت الساعة وانشق القمر» ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق ، وقال البخاري حدثني عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضل حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فآراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما . وأخرجاه أيضا من حديث يونس بن محمد المؤدب عن شيبان عن قتادة ، ورواه مسلم أيضا من حديث أبي داود الطيالسي ويحي القطان وغيرهما عن شعبة عن قتادة .

ومن هذا يتبين أن رواية أنس بن مالك رضي الله عنه قد رويت من عدة طرق عند كل من الأئمة البخاري ومسلم وأحمد .

ب - رواية جبير بن مطعم رضي الله عنه : قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل فقالوا قد سحرنا محمد ، فقالوا إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم » تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه وأسنده البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن كثير عن أخيه سلمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن . وكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به ، ورواه البيهقي أيضا من طرق ابراهيم بن طهمان وهشيم وكلاهما عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده فذكره .

جـ - رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : قال البخاري : حدثنا يحيى بن

---

١٣٣ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير جـ٤ ص٢٦١ .

كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس . قال : «انشق القمر في زمان النبي ﷺ » ورواه البخاري أيضا ومسلم من حديث بكر بن نصر عن جعفر بن ربيعة عن عراك به مثله ، وقال ابن جرير حدثنا ابن نسبي حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ . قال : قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه ، وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا . . .

د - رواية عبد الله بن عمر : قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس ابن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله ابن عمر في قوله تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ قال : وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ ، انشق فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل ، فقال النبي ﷺ : «اللهم أشهد» وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد به ، قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي حسن صحيح .

هـ - رواية عبد الله بن مسعود : قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال : «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله ﷺ «اشهدوا» وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان عن عيينه . وأخرجاه من حديث الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود ، وقال ابن جرير : حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي حدثنا عمي يحيى بن عيسى عن الأعمش عن ابراهيم عن رجل عن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فأخذت فرقة خلف

الجبل فقال رسول الله ﷺ : «اشهدوا اشهدوا» قال البخاري : وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بمكة (ولا تعارض لأن منى جزء من مكـة وتعتبر ضاحية من ضواحيها) وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو عوانـة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال : فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فقالوا ذلك» وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشام حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتـين ، فقال كفار قريش أهل مكة ؛ هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، انظروا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، وإن كانوا لم يروا مثـل ما رأيتم فهـو سحر سحركم به ، قال فسئل السفار ، قال : وقدموا من كل وجهة فقالوا رأينا ، ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به وزاد فأنزل الله عز وجل ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ثم قال ابن جرير : حدثني يعقـوب بن ابـراهيم حدثنـا ابن علية أخبرنا أيوب عن محمد - هو ابن سرين - قال : نبئت أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول لقد انشق القمر . وقال ابن جرير أيضا حدثني محمد بن عمارة حدثنا عمرو بن حماد حدثنا أسباط عن سماك عن ابراهيم عن الأسود عن عبد الله قال : لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق ، ورواه الإمام أحمد عن مؤمل عن اسرائيل عن سماك عن ابراهيم عن الأسود عن عبد الله قال : انشق القمـر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمـر ، وقـال ليث عن مجاهـد : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصـار فرقتـين فقال النبي ﷺ لأبي بكر أشهد ياأبا بكر ، فقال

المشركون : سحر القمر حتى انشق[١٣٤] .

وهكذا نجد أن هذه المعجزة الحسية والآية الربانية قد ثبتت بنصوص قطعية من القرآن الكريم الذي لا يفيد القطع أكثر منه ، ومن روايات السنن الصحيحة الكثيرة وطرقها العديدة التي أفادت بكثرتها وبلغت بطرقها حد التواتر الذي يفيد القطع ، ومن هنا قال جمهور العلماء بذلك ، ولذلك قال ابن كثير : وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة ، وقال ابن حجر : إن حنين الجذع وانشقاق القمر نقلا كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم مما لا ممارسة له في ذلك[١٣٥] .

وقال القسطلاني : وانشقاق القمر من أمهات المعجزات وأجمع عليه المفسرون وأهل السنة وروي عن جماعة كثيرة من الصحابة[١٣٦] .

ثانياً : نبع الماء وجريانه من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير القليل منه :

وقد ثبت ذلك من عدة روايات وطرق صحيحة لا مجال للشك فيها فمن ذلك :

١ - أخبرنا أحمد بن عبيد أخبرنا علي بن عبد الله بن مبشر قال قنا أحمد بن سنان قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال : ثنا إسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فعز الماء فقال : «اطلبوا فضلة من ماء» فأتى بها في إناء قليل فأدخل رسول الله ﷺ يده في الإناء ثم قال : «حي على

---

١٣٤ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير جـ٤ ص٢٦١-٢٦٣ ، وانظر أيضا : صحيح البخاري : كتاب التفسير ، وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافين ، وأبو داود ح٥١٣٦ ، والترمذي ح٢٧١٧ ، وأحمد جـ١ ص١٩١ ، البداية والنهاية جـ٦ ص٧٤-٧٧ ، عون الباري جـ٥ ص٦٥ ، والمواهب اللدنية جـ٥ ص١٠٦-١١٢ ، والرد على النصارى ص٩٦ ، وانظر أيضا : خاتم النبيين جـ١ ص٥٥٦-٥٦٠ .

١٣٥ - فتح الباري جـ٦ ص٥٩٢ .

١٣٦ - عون الباري جـ٥ ص٦٥ .

الطهور المبارك والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ حتى ارتوينا وقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[١٣٧] .

٢ - وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوَضوء - وفي رواية بإناء لا يكاد يغمر أصابعه - فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند أخرهم» قال : قلنا لأنس كم كنتم قال زهاء ثلثمائة»[١٣٨] .

٣ - وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة - إناء أو حوض للماء - فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه ، فقال : «مالكم؟ » قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ به ، ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة»[١٣٩] .

٤ - وفي الصحيحين «عن البراء بن عازب وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما أنهم نزحوا بئر الحديبية فلم يتركوا فيها قطرة وكانت قليلة الماء لا تروي خمسين شاة فنزح ﷺ منها دلوا وبصق فيه وأعاده إليها فجاشت بالماء الغزير حتى أروى الجيش أنفسهم وركابهم»[١٤٠] .

---

١٣٧ - البخاري ح٣٥٧٩ ، أصول الاعتقاد جـ٤ ص٨٠٣ وحدائق الأنوار جـ١ ص٢٠١ .

١٣٨ - البخاري : كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ، وصحيح مسلم : كتب الفضائل باب في معجزات النبي (ﷺ) ، حدائق الأنوار حـ١ ص١٩٩ ، وأصول الاعتقاد حـ٤ ص٨٠٣ ، وإحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٤ ، والبداية والنهاية جـ٦ ص٩٣ .

١٣٩ - صحيح البخاري : كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢٠٢ ، وأصول الاعتقاد جـ٤ ص٨٠٤ .

١٤٠ - البخاري : كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ، وصحيح مسلم : كتاب الجهاد ، والسير باب غزوة ذي قرد ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢٠٣ .

٥ - وفي الصحيحين «عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : أصاب الناس عطش شديد وهم مع النبي في بعض أسفاره فوجه رجلين من أصحابه وهما عمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان - وعاء يحمل فيه الماء كالقربة - فوجداها وأتيا بها إلى النبي ﷺ فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عز اليهما - مكان صب الماء من القربة - وأمر الناس أن يستقوا من مزادتيها فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا سقاء إلا ملئوه ، قال عمران بن حصين ثم أوكيتهما - أغلقتهما - ويخيل إليّ أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد - الطعام - حتى ملأ ثوبها وقال : أذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا - أي ننقصه - ولكن الله سقانا»[١٤١] .

٦ - وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في غزوة - بواط - فقال ياجابر ناد الوضوء ، وأنه لم يجد إلا قطرة في فم مزادة ، فأتى به النبي ﷺ فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو ، وقال : إيتني بجفنة الركب فأتيته بها فوضع النبي ﷺ كفه فيها وصب جابر عليها ذلك الماء وقال : باسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه حتى امتلأت الجفنة ، واستدارت حتى امتلأت ، وأمر الناس أن يستقوا منها فاستقوا حتى رووا وأسقوا ركابهم فرفع يده من الجفنة وإنها لملأى[١٤٢] .

٧ - روى الإمام مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك - سير النعل - تبص - تسيل - بشيء من ماء قال : فسألهما رسول الله ﷺ : «هل مسستما من مائها شيئا ؟» قالا : نعم ، فسبهما النبي ﷺ

---

١٤١ - البخاري : كتاب التيمم باب الصعيد الطيب ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢٠٤-٢٠٥ ، ومسلم : كتاب الصلاة ، عون الباري جـ١ ص٥٢٥-٥٣٠ .

١٤٢ - صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢٠٧ .

وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، قال : ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء قال : وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر أو قال غزير حتى استقى الناس ثم قال يُوشك يامعاذ إن طالت بك الحياة أن ترى ما ههنا قد ملىء جناناً فكان كذلك»[١٤٣] .

وهكذا نجد أن هذه المعجزة الحسية (نبع الماء وتفجره وكثرته بين يدي النبي ﷺ) ثابتة بأكثر من رواية صحيحة وواقعة في أكثر من مناسبة ، وبهذا تصل إلى درجة التواتر وتفيد القطع ، ولذلك قال القرطبي : «قصة نبع الماء من بين أصابعه تكررت منه ﷺ في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي[١٤٤] .

ثالثاً : تكثير الطعام القليل :

وقد ثبت ذلك بعدة أحاديث صحيحة في مواطن مختلفة ومناسبات عدة فمن ذلك :

١ - حديث أنس رضي الله عنه «أن أبا طلحة بعثه بأقراص من شعير تحت إبطه ففتها ﷺ وأشبع منها ثمانين رجلا»[١٤٥] .

٢ - حديث جابر رضي الله عنه أنه صنع للنبي ﷺ صاعا من شعير وطعاما وطلبه خامس خمسة ، فنادى في أهل الخندق وكانوا ألفا جياعا فأكلوا من

---

١٤٣ - موطأ مالك : كتاب قصر الصلاة في السفر ، وصحيح مسلم : كتاب الفضائل باب معجزات النبي ﷺ ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢٠٨ ، وانظر : الحلبية جـ٣ ص٢٩٤ .

١٤٤ - حدائق الأنوار جـ١ هامش ص٢٠٠ .

١٤٥ - متفق عليه : البخاري : كتاب المناقب باب علامات النبوة وكتاب الأطعمة باب من أكل حتى شبع . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة ، وموطأ مالك : كتاب صفة النبي ﷺ باب جامع ما جاء في الطعام والشراب ، وسنن الترمذي أبواب المناقب . وانظر : أصول الاعتقاد جـ٤ ص٨٠٥ وحدائق الأنوار جـ١ ص٢١١ .

ذلك كلهم حتى انصرفوا ، قال جابر : وأقسم بالله أن برمتنا - قدرنا - لتغط - تغلي - كما هي ، وأن عجينتنا لتخبز وكان النبي صلى الله عليه وسلم بصق في البرمة والعجين[١٤٦] .

٣ - وحديث جابر أيضا : أنه حين مات أبوه أبى غر ماؤه أن يقبلوا ثمرة نخيله بدينه فجاء النبي ﷺ وجلس على بيدر - جرن - واحد منها ، فكال لهم حتى أوفاهم منه ، وسلمت منه بقية مع سائر البيادر»[١٤٧] .

٤ - حديث أبي أيوب رضي الله عنه «أنه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر عند قدومهما في الهجرة ما يكفيهما فقال النبي ﷺ : «ادع ثلاثين من أشراف الأنصار » ، فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ، فقال : «ادع ستينّ» فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ، فقال : «ادع سبعين» فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ، قال أبو أيوب فأكل من طعامي ثمانون ومائة رجل ، وما خرج أحد منهم حتى أسلم وبايع»[١٤٧] .

٥ - حديث أنس في وليمة الرسول ﷺ عند بنائه بزينب «أن النبي ﷺ حين ابتنى بزينب أمره أن يدعوا له قوما سماهم ، وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تورا - إناء من نحاس أو حجارة - فيه قدر مد من تمر جعل حيساً - طعاما مخلوطا من التمر والأقط والسمن - فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقى التور كما هو»[١٤٨] .

٦ - حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة فعجن صاع من طعام وذبحت شاة فشوى سواد بطنها -

---

١٤٦ - متفق عليه . البخاري : كتاب المغازي باب غزوة الخندق ، ومسلم : كتاب الأشربة .

١٤٧ - متفق عليه . البخاري : كتاب المناقب باب علامات النبوة ، الحلبية جـ٣ ص٢٨٣ ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢١٣ .

١٤٨ - البخاري : كتاب النكاح باب الهداية للعروس ، وصحيح مسلم : كتاب النكاح باب زواج زينب ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢١٥ ، والحلبية جـ٣ ص٢٩٢ ، السراج الوهاج جـ٥ ص٢٤٣-٢٤٦ .

كبدها - وأمره النبي ﷺ أن يحز لهم منها ، قال : وأيم الله ما في الثلاثين والمائة إلا وقد حز النبي ﷺ له حزة - قطعة - من كبدها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا منها أجمعون وفضل منها فضلة - فحملته على البعير»[١٤٩] .

٧ - حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : أصابت الناس مخمصة (جوع) شديد في بعض مغازي النبي ﷺ فدعا ببقية الأزواد - الطعام - فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك ، وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعوه على نطع - سفرة أو أديم أو بساط - زاد مسلم فحزرته - قدرته - كربضة العنز - مبركها - ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملئوه وبقي منه»[١٥٠] .

٨ - وحديث أبي هريرة في دعوة الرسول ﷺ أهل الصفة قال : «أصابني جوع شديد فلما خرج النبي ﷺ من المسجد تبعته فوجد عند أهله قدح لبن قد أهدي له ، فأمرني أن أدعو له أهل الصفة ، وكانوا سبعين فدعوتهم فأمرني النبي ﷺ أن أسقيهم منه ، فجعلت أعطي الرجل القدح فيشرب حتى يروى حتى رووا جميعهم فقال النبي ﷺ : بقيت أنا وأنت فاشرب فشربت حتى رويت فقال : اشرب فشربت حتى رويت فقال : اشرب فشربت حتى رويت فمازال يقول : أشرب حتى قلت : والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكا ، فأخذ القدح وحمد الله تعالى وسمى وشرب»[١٥١] .

وهكذا نجد معجزة تكثير الطعام ثابتة بأحاديث صحيحة متفق عليها بين علماء السنة النبوية ورواتها ، وقد تكررت في مناسبات عدة ومواطن مختلفة مما

---

١٤٩ - متفق عليه . البخاري : كتاب الهبة ، ومسلم : كتاب الأشربة ، وعون الباري جـ٤ ص١٩٨ ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢١٦ وانظر فيما سبق كله : البداية والنهاية لابن كثير جـ٦ ص١٠١-١٢٣ .

١٥٠ - متفق عليه . صحيح مسلم : كتاب اللقطة باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت والمواساة فيها ، السراج الوهاج جـ٦ ص٤٤٣-٤٤٥ ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢١٧ .

١٥١ - متفق عليه ؛ البخاري : كتاب الرقاق باب كيف كان يعيش النبي (ﷺ) وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ، الحلبية جـ٣ ص٢٩٢ ، ٢٩٣ ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢١٨ .

يجعلها تفيد التواتر والقطع ، وهذا لا يدع مجالا لأحد أن ينكرها أو يشك فيها وإلا كان جاحدا متبعا غير سبيل المؤمنين .

رابعاً : حنين الجذع :

وقد ثبت بروايات كثيرة صحيحة منها :

١ - عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتى النبي ﷺ فمسحه»[١٥٢] .

٢ - عن نافع عن ابن عمر «أن تميم الداري لما ثقل النبي ﷺ وكثر لحمه قال : يارسول الله ألا أتخذ لك منبرا يحمل عظامك ويجمعك ؟ فاتخذ له مرقاتين ، وكانت سواري المسجد جذوعا وسقايفها جذوعا استشهد به البخاري من رواية ابن أبي رواد عن نافع[١٥٣] .

٣ - عن ابن عباس «أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر ، فلما اتخذ تحول ، فحن الجذع فاحتضنه فسكن ، فقال : لو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة» إسناده صحيح على شرط مسلم ويلزمه إخراجه[١٥٤] .

٤ - رواية أنس : عن أبي طلحة قال : حدثني أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فجاء رومي فقال : ألا نصنع لك شيئا تقعد عليه فكأنك قائم ؟ فصنع له منبرا درجتين ويقعد على الثالثة ، فلما قعد نبي الله ﷺ على المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره حزنا على النبي ﷺ ، فنزل النبي ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور ، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن : ثم قال : والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة حزنا على رسول الله ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ به فدفن»[١٥٥] . إسناده صحيح

---

١٥٢ - البخاري ح٣٥٨٣ ، والترمذي ٥٠٥ ، والدارمي ٣١ ، أصول الاعتقاد جـ٤ ص٧٩٧ .

١٥٣ - البخاري حديث رقم ٣٥٨٣ .

١٥٤ - ابن ماجة ١٩٩ ، وأحمد ١/٢٤٩ ، والدارمي ٣٩ ؛ أصول الاعتقاد جـ٤ ص٧٩٨ .

١٥٥ - رواه الترمذي وقال حسن صحيح ح٣٦٢ ؛ أصول الاعتقاد جـ٤ ص٧٩٩ .

على شرط مسلم وأخرجه ابن خزيمة وقد جمع ابن الديبع بين هذه الروايات وألف بينها فقال :

حديث الجذع المشهور في الصحيحين عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم قالوا : «كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل ، وكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار - من الإبل - حتى جاء النبي ﷺ فوضع يدع عليه فسكن ، (وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لشدة خواره) (وفي رواية سهل بن سعد : وكثر بكاء الناس) (وفي رواية المطلب بن أبي وداعة : حتى انشق الجذع وجاءه النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكن زاد غيره فقال النبي ﷺ : إن هذا بكى لما فقد من ذكر الله تعالى وقال : والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة ، ثم أمر به النبي ﷺ فدفن تحت المنبر ، وفي رواية بريدة أن النبي ﷺ قال : إن شئت أن أردك إلى البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر ، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرك ، فقال : بل تغرسني في الجنة لأكون في مكان لا أبلي فيه فسمعه الحاضرون ، فقال النبي ﷺ : قد فعلت ، ثم قال : اختار دار البقاء على دار الفناء»[١٥٦] .

ومن هذا يتبين أن حنين الجذع قد وقع أمام جميع الصحابة واستمعوا إليه وارتج المسجد لشهقه ، وكثر بكاء الناس ، ولم يسكت حتى التزمه النبي ﷺ وروي ذلك بروايات صحيحة وطرق عديدة مستفيضة بين الأوائل والآواخر فلم يعد هناك مجال لأنكاره أو الشك فيه لأنه بلغ حد التواتر وأفاد القطع ، وفي ذلك قال ابن حجر : إن حنين الجذع وانشقاق القمر نقلا كل منهما نقلا مستفيضا يفيد

---

١٥٦ - انظر الخبر في صحيح البخاري كتاب المناقب علامات النبوة ، وسنن الترمذي ، أبواب ، حدائق الأنوار جـ١ ص٢٢٥ ، ٢٢٦ ، إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٤ ، والحلبية جـ٣ ص٢٨٤ .

القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم مما لا ممارسة له في ذلك»[١٥٧] .

وقال ابن كثير : حنين الجذع قد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان[١٥٨] .

وكان الحسن البصري رحمه الله إذا حدث بحديث حنين الجذع بكى وقال : ياعباد الله الخشبة تحن شوقا إلى رسول الله ﷺ لما فارقها فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه[١٥٩] .

فهل بعد ذلك البيان الواضح والثبوت القطعي والاستفاضة والتواتر يجوز الإنكار أو حتى الشك ؟ اللهم . لا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . آمنا به وبرسوله وصدقناه وأيقنا بما أيده به من معجزات معنوية وحسية .

٥ - ثبوت المعجزات الحسية الأخرى :

هل هذا الحكم القطعي الذي أثبته العلماء لهذه النماذج من المعجزات الحسية التي بيناها وأثبتنا طرق إثباتها يصدق على المعجزات الحسية الأخرى التي سبق إجمالها ؟ والتي تركنا التفصيل فيها مخافة التطويل ؟ نعم وبكل تأكيد فهي كلها معجزات لنبي واحد هو محمد ﷺ والناقلون لها والمشاهدون هم هم أصحاب رسول الله ﷺ ، ومصادرها هي هي مصادر المعجزات التي فصلنا القول فيه ، فالقضية لا تتجزأ والحكم لا يختلف ، والرسول واحد والمصادر واحدة ، ومادمنا قد آمنا بالله تعالى وقدرته المطلقة ورسوله ﷺ وصدقه وأمانته فلابد من قبول كل ما ثبت عنه ، وما نقله عنه أصحابه المهديون رضوان الله عليهم أجمعين والطعن في أي معجزة ثابتة يعتبر طعنا في صدق رسول الله أو في قدرة الله تعالى أو في صدق أصحابه وأمانتهم ، وكل قضية من هذه القضايا على

---

١٥٧ - فتح الباري جـ٦ ص٥٩٢ .

١٥٨ - البداية والنهاية جـ٦ ص١٣٢ .

١٥٩ - حدائق الأنوار جـ١ ص٢٢٦ ، وأصول الاعتقاد جـ٤ ص٧٩٩ .

خطر عظيم فلا مناص من التسليم والقبول بل والإيمان اليقيني بكل ما ثبت ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن ما فصلنا القول فيه من المعجزات الحسية يعتبر في نظر العاقلين أقوى وأعظم من غيره من المعجزات المجملة - والجميع في قدرة الله تعالى واحد - هان الأمر ووجب التصديق والقبول ، فإذا أضفنا إلى ذلك أقوال بعض العلماء الثابتين لم يبق بعد ذلك مجال للشك فضلا عن الإنكار لأي معجزة ثابتة منها :

يقول الإمام الغزالي رحمه الله بعد أن عدد من المعجزات الحسية حوالي خمسين معجزة غير القرآن الكريم والأخلاق النبوية والسيرة الذاتية والأقوال والأفعال . . يقول : «إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته ﷺ وإنما اقتصرنا على المستفيض ، ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي رضي الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ، ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ، ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق . . . . إلى أن يقول : فأعظم بغباوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ، ثم في انتشاره في أقطار العالم ، ثم في إذعان ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ، ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه ، وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر ، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده»[١٦٠] .

فهذا هو حجة الإسلام الغزالي يثبت أكثر من خمسين معجزة من معجزات النبي ﷺ غير القرآن والأحوال والأخلاق والأفعال ، ويعلن أنه اقتصر على المستفيض منها ، ويعيب على من يستريب فيها بعد إفادتها العلم الضروري

---

١٦٠ - إحياء علوم الدين جـ٢ ص٣٨٧ والمنقذ من الضلال للشيخ عبد الحليم محمود ص١٣٣ وفيه يؤكد أن الخوارق وحدها لا تكفي ولكن بانضمامها إلى أحوال النبي (ﷺ) الأخرى يتحقق اليقين والعلم الضروري فليكن مثل هذه الخوارق إحدى الدلائل والقرائن في جملة نظرك .

القطعي كشجاعة علي وكرم حاتم ، ويجعل من يستريب في واحدة منها غبيا بل من أشد الناس غباوة ، أما المؤمن بها فهو من أعظم الناس توفيقا ثم دعا الله تعالى إلى التوفيق في الاقتداء بالنبي ﷺ في كل ما ورد عنه .

وقد حرصت على نقل كلام الغزالي دون غيره وهو كثير لأن بعض الباحثين استشهد بكلام مبتور من كلامه واعتمد عليه في إنكاره المعجزات الحسية ، ولو أتم كلام الغزالي لعرف ما عرفناه من هذا النص وكل ما هنالك أن الغزالي - ونحن معه بل وهذا إجماع - يعتبر القرآن المعجزة الكبرى والباقية للخلق ، وفرق كبير بين اعتبار القرآن المعجزة الكبرى وبين اعتباره المعجزة الوحيدة .

ويقول ابن الديبع : «وأما إقامته على ذلك - أي النبوة - الدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة ، فلما نقله الخلف عن السلف من الأمور الخارقة كانشقاق القمر ، وتسليم الحجر ، وإحابة الشجر ، وحنين الجذع ، وتسبيح الحصى ، وتفجير الماء من بين أصابعه ، وتكثير الطعام القليل ببركته . . إلى غير ذلك من عظيم الآيات المعلومة بالقطع بين علماء السير ونقلة الأخبار ورواها العدد الكثير في جميع الأعصار من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، ولم يزدد على مر الأيام إلا ظهورا ، ومجموع معناها بالغ مبلغ التواتر بين البر والفاجر كما يعلم جود حاتم وشجاعة علي بالضرورة ، وأن تبلغ كل واقعة منها بعينها مبلغ التواتر ، بل وأكثرها كان في المجامع الحفلة والعساكر الجمة من الصحابة رضي الله عنهم ، ثم رواها عنهم كافة ، ولم يرو عن أحد منهم مخالفة للراوي فيما رواه والإنكار لما نسبه إليهم من المشاهدة لها وحكاه ، فسكوت الساكت منهم لنطق الناطق كثيرا ما يحصل العلم الضروري بشيء لإنسان دون آخر فمن يعلم جملة من الأخبار للملوك الماضية والبلدان النائية ، وآخر لا يعرف وجودها فضلا عن تحقق أخبارها[١٦١] .

وابن الديبع بهذا يؤكد أن المعجزات الحسية ثبتت بطريق التواتر الفعلي الذي

---

١٦١ - حدائق الأنوار جـ١ ص١٦١ ، وانظر في ذلك أيضا : المواهب اللدنية جـ٥ ص١٠١ ، وبلوغ المرام ص٣٤٥ وهامشها ، والبداية والنهاية جـ٦ كتاب دلائل النبوة ، والرد على النصارى ص٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

يفيد العلم الضروري والقطع ، وأن الخلف نقلوها عن السلف المشاهدين بلا إنكار وغير الناقلين سكت والسكوت إقرار بما نطق به المتكلم ، وبهذا أصبحت مجمعا عليها وأصبحت مما علم من الدين بالضرورة كالصلاة والصوم وإذا كان البعض لم يعرف ذلك فليس هذا دليلا فكثير من الناس لا يعرف بعض أخبار الملوك الماضية والبلدان النائية مع وجودها وثبوتها عند آخرين .

الفصل الثالث

موقف المنكرين وشبهاتهم والرد عليهم

على الرغم مما سبق بيانه من ثبوت المعجزات الحسية بطريق التواتر إلا أن هناك فئة من الناس أنكروها قديما وحديثا ، ولم يعترفوا إلا بمعجزة واحدة للنبي ﷺ وهي القرآن الكريم ، ومنهم من أثبتها وأقر ببعضها لا على أنها معجزات ولكنها أمور أخرى أكرمه الله بها أما المعجزة فهي القرآن فقط .

ويمكن أن نقسم المنكرين إلى فئتين :

أ - فئة تنكر ما سوى القرآن الكريم .

ب - فئة تعترف بهذه الخوارق ولكن تؤلها تأويلا خاصا يخرجها عن المعجزة لأن المعجزة هي القرآن الكريم فقط .

ونحن في هذا الفصل نعرض شبهات الفئتين ونرد، عليها ونتتبع شبهات المنكرين تبين أنها ترجع إلى الأمور الآتية :

أولاً : أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ آيات معينة فبين الله تعالى لرسوله ﷺ أن يجيبهم بأن ذلك غير ممكن لأنه بشر رسول لا حول له ولا قوة ولم يجبهم الله لما طلبوا ، فلو كانت للنبي معجزات حسية لكان أولى أن يجيبهم إلى ما طلبوا قال تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا . وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا . قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾[١٦٢] .

---

١٦٢ - الإسراء : ٩٠ - ٩٦ .

ثانياً : أن الله تعالى صرح بأنه لم ينزل على محمد ﷺ آيات غير القرآن في قوله تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾[١٦٣] .

ثالثاً : أن رسول الله ﷺ قال : «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[١٦٤] .

رابعاً : أن هذه الخوارق جاءت بطريق الآحاد وآحادها غير معلومة ولا منقولة بطريق التواتر ، وهي مما لا سبيل إلى التمسك بها في القطعيات وإثبات النبوات[١٦٥] .

خامساً : أن من شروط المعجزة التحدي ، وهذه الخوارق لم يقع فيها تحد فهي ليست معجزات لأن النبي ﷺ لم يتحد بها ، وإنما الذي تحدى به الأولين والآخرين هو القرآن الكريم وذلك ثابت في آياته الكريمة فقد تحداهم أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله فلم يستطيعوا ثم أخبر بأنهم لن يستطيعوا لو تظاهروا وتعاونوا مع الجن قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[١٦٦] . وقال تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾[١٦٧] . وقال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾[١٦٨] .

---

١٦٣ - الإسراء : ٥٩ .

١٦٤ - صحيح مسلم بشرح النووي جـ٢ ص١٨٦ ، السراج الوهاج جـ١ ص١٢٦ .

١٦٥ - غاية المرام في علم الكلام ص٣٤٩ .

١٦٦ - الإسراء : ٨٨ .

١٦٧ - هود : ١٣ .

١٦٨ - البقرة : ٢٣ ، ٢٤ .

سادساً : أن هذه الخوارق لا يقبلها العقل ولا يصدقها العلم .

والآن مع كل شبهة من هذه الشبهات حتى نتبين وجه الحق والصواب :

أولاً : بالنسبة لما طلبه المشركون من رسول الله ﷺ من الآيات الحسية لتفجير الأرض بالينابيع والجنان والأنهار . . الخ ليس دليلا على إنكار المعجزات الحسية أو تخلفها لأن سياق هذه الآيات الكريمة من سورة الإسراء يبين بجلاء ووضوح أن القوم قد أصروا على الكفر والعناد مهما قدم لهم الرسول ﷺ من الآيات ، فها هو قد قدم لهم القرآن وتحداهم به فلم يؤمنوا وأصروا على الكفر ، وقبل هذه الآيات مباشرة يقول الله تعالى : ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴾[١٦٩] .

وبعد ذكر ما طلبه المشركون جاءت آيات أخرى تبين أنه لا فائدة من هذه الآيات التي طلبوها لأنهم لم يؤمنوا ، وقد قدمنا آيات مثلها لمن سبقهم من الأمم فلم يؤمنوا ، قال تعالى : ﴿ فأبى الظالمون إلا كفوراً ﴾ ثم قال : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحورا ﴾[١٧٠] ، وما دامت الآيات لن تفيد معهم كما لم تفد مع من سبقوهم فلا داعي لها . هذا من جهة .

ومن جهة ثانية فإن الله تعالى قد خير رسول الله ﷺ بين أمرين إما أن يجيبه لما يطلبون من الآيات وإن لم يؤمنوا أهلكهم كما فعل مع الأمم السابقة ، وإما أن لا يجيبهم ويمهل الكافرين منهم إلى يوم الدين فاختار رسول الله ﷺ أمهال أمته وتعذيب العصاة منهم إلى يوم القيامة ، ولذا لم يجبهم إلى ما طلبوا من الآيات ، ولا يمنع ذلك من تأييد رسوله بما يشاء من آيات أخرى لم يطلبوها .

ومن جهة ثالثة ، فقد طلب المشركون من رسول الله ﷺ آية فأراهم أنشقاق القمر فرقتين وجاء ذلك في القرآن الكريم كما سبق فثبت من ذلك أن الله تعالى أجابهم إلى بعض الآيات في حين ورفض إجابتهم في حين آخر لحكمة يعلمها الله عز وجل وقد اجتهد العلماء في بيانها وتوضيحها .

---

١٦٩ - الإسراء : ٨٩ .

١٧٠ - الإسراء : ٩٩ ، ١٠١ .

ومن جهة رابعة لم يجبهم الله تعالى لما طلبوا لأنه لو أجابهم لكان ذلك مبررا لكل كافر أن يفعل مثلهم ويقول لن أومن إلا بكذا وهذا يؤدي إلى أن تصبح الأمور على هوى الناس وليست إلى تدبير الله عز وجل وهكذا لا يقتضى عدم إجابتهم فيما طلبوا إنكار ما وقع سوى ذلك .

وقد قدم القرطبي تعليقا على هذه الشبهة فقال في قوله تعالى : ﴿ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ أتبع ما يوحى إليّ من ربي ويفعل الله ما يشاء من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر فهل سمعتم أحدا من البشر أتى بهذه الآيات ! وقال بعض الملحدين : ليس هذا جوابا مقنعا ، وغلطوا لأنه أجابهم فقال : إنما أنا بشر لا أقدر على شيء مما سألتموني ، وليس لى أن أتخير على ربي ، ولم تكن الرسل قبلي يأتون أممهم بكل ما يريدونه ويبغونه ، وسبيلي سبيلهم ، وكانوا يقتصرون على ما آتاهم الله من آياته الدالة على صحة نبوتهم ، فإذا أقاموا عليهم الحجة لم يجب لقومهم أن يقترحوا غيرها ، ولو وجب على الله أن يأتيهم بكل ما يقترحونه من الآيات لوجب عليه أن يأتيهم بمن يختارونه من الرسل ولوجب لكل إنسان أن يقول : لا أومن حتى أوتى بآية خلاف ما طلب غيري ، وهذا يؤول إلى أن يكون التدبير إلى الناس ، وإنما التدبير إلى الله تعالى[١٧١] . وهكذا بين القرطبي لماذا لم يجبهم الله تعالى لما طلبوا وهو نفسه الذي قسم المعجزات إلى قسمين حسية ومعنوية كما سبق في الفصل الأول فتبين من ذلك أنه لا علاقة بين ما لم يجبهم الله إليه من آيات وبين تأييده رسوله ﷺ بآيات حسية أخرى .

وقال الرازي في تفسيره لهذه الآيات من سورة الإسراء : أعلم أنه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزا وظهر هذا المعجز على وفق دعوى محمد ﷺ فحينئذ تم الدليل على كونه نبيا صادقا ، لأنا نقول : إن محمدا ادعى النبوة وظهر المعجز على وفق دعواه ، وكل من كان كذلك فهو نبي صادق ، فهذا يدل على أن محمدا ﷺ صادق ، وليس من شروط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات الكثيرة

---

١٧١ - الجامع لأحكام القرطبي جـ١٠ ص٣٣١ .

وتواليها لأنا لو فتحنا هذا الباب للزم أن لا ينتهي الأمر فيه إلى قطع ، وكلما أتى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا آخر ولا ينتهي الأمر فيه إلى حد ينقطع عنده عناد المعاندين وتغلب الجاهلين لأنه تعالى حكى عن الكفار أنهم بعد أن ظهر كون القرآن معجزا التمسوا من الرسول ﷺ ستة أنواع من المعجزات القاهرة»[١٧٢] فبين الرازي بذلك أنهم قد تحكموا في طلبهم هذا وتعنتوا لأن الله تعالى قد أيده بمعجزة أثبتت نبوته وصدقه ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثلها فلا حق لهم بعد ذلك في طلب هذه المعجزات ، وهذا لا ينفي أن يؤيد الله تعالى رسوله بما يشاء من معجزات وآيات أخرى . ومن هذا يتبين بطلان هذه الشبهة لأنها لا تدل على نفي تأييد رسول الله ﷺ بمعجزات حسية ، إنما تدل فقط على أن الله تعالى لم يجبهم لما طلبوه من الآيات ، أولا لأنهم متعنتون وغير صادقين ، وثانيا لأن ذلك يفتح بابا من الفوضى والتحكم لأي إنسان آخر ، وثالثا لأن الله تعالى قد خير رسوله ﷺ بين الاجابة والمؤاخذة أو الإمهال إلى يوم القيامة فاختار إمهالهم» .

ثانياً : وأما احتجاجهم بقوله تعالى ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾ فهذا احتجاج غير صحيح لسببين : الأول ما سبق من تخيير الله تعالى رسوله ﷺ بين إرسال الآيات وتعذيب المكذبين فورا كما فعل بالأمم السابقة أو عدم إرسال الآيات وإمهال المكذبين منهم إلى يوم القيامة ، وقد اختار رسول الله ﷺ ذلك وأجابه الله تعالى وهذا لا يمنع أن يؤيده الله عز وجل بآيات أخرى سواء من طلبهم أو بغير طلبهم - الثاني أن تكون أل في الآيات للعهد أي ليس كل الآيات ، وإنما آيات معهودة طلبها الكفار بأعيانها فلم يجبهم الله إليها حتى لا يعاملهم بمثل ما عامل به قوم صالح حيث أجابهم لما طلبوا وأخرج لهم من حجر الجبل ناقة عشراء فلما لم يؤمنوا أخذتهم الصيحة والصاعقة والطاغية . قال الرازي في تفسير هذه الآية : «اعلم أنه تعالى لما ذكر الدليل على فساد قول

---

١٧٢ - التفسير الكبير - الرازي جـ٢١ ص٥٦ .

المشركين وأتبعه بالوعيد أتبعه بذكر مسألة النبوة ، وذلك لأن كفار قريش اقترحوا من رسول الله ﷺ إظهار معجزات عظيمة قاهرة كما حكى الله عنهم أنهم قالوا : ﴿ لولا يأتينا بآية كما أرسل الأولون ﴾[١٧٣] ، وقال آخرون : المراد ما طلبوه بقولهم : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا » وعن سعيد بن جبير أن القوم قالوا : إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح ، ومنهم من كان يحيي الموتى فأتنا بشيء من هذه المعجزات ، فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ وفي تفسير هذا الجواب وجوه : الوجه الأول : المعنى أن الله تعالى لو أظهر تلك المعجزات القاهرة ثم لم يؤمنوا بها بقوا مصرين على كفرهم ، فحينئذ يصيرون مستحقين لعذاب الاستئصال ، لكن إنزال عذاب الاستئصال على هذه الأمة غير جائز لأن الله تعالى أعلم أن فيهم من سيؤمن أو يؤمن أولادهم فلهذا السبب ما أجابهم الله تعالى إلى مطلوبهم وما أظهر تلك المعجزات القاهرة ، روى ابن عباس أن أهل مكة سألوا الرسول ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن يزيل لهم الجبال حتى يزرعوا تلك الأراضي ، فطلب الرسول ﷺ ذلك من الله تعالى ، فقال الله تعالى : إن شئت فعلت ذلك لكن بشرط أنهم إن كفروا أهلكتهم ، فقال الرسول ﷺ : «لا أريد ذلك بل تتأنى بهم» فنزلت هذه الآية .

الوجه الثاني : في تفسير هذا الجواب أنا لا نظهر هذه المعجزات لأن آباءكم الذين رأوها لم يؤمنوا بها وأنتم مقلدون لهم ، فلو رأيتموها أنتم لم تؤمنوا بها أيضا . الوجه الثالث : أن الأولين شاهدوا هذه المعجزات وكذبوا بها ، فعلم الله منكم أيضا أنكم لو شاهدتموها لكذبتم فكان إظهارها عبثا والعبث لا يفعله الحكيم»[١٧٤] .

---

١٧٣ - هكذا ذكرت والصواب «فليأتنا بآية كما أرسل الأولون» : الأنبياء : ٥ .

- ١٧٤ - التفسير الكبير - الرازي جـ١٩ ص٢٣٤ ، وخاتم النبيين جـ١ ص٤٦١ ، ٤٦٢ ، وفي ظلال القرآن المجلد الرابع ص٢٢٣٧ ، ٢٢٣٨ ، ٢٢٥٠ ، السراج الوهاج : صديق خان ص١٢٦ ، ١٢٧ .

فالمقصود بالآيات التي لم يرسلها الله تعالى هي تلك الآيات التي طلبوها وليس كل الآيات والفرق واضح لأن مايطلبونه إذا نزل ولم يؤمنوا استؤصلوا كما فعل الله بثمود ، أما ما يؤيد الله به رسوله من عنده فلا استئصال في تكذيبه وإنما إرجاء إلى يوم القيامة لأنهم قد يؤمنوا بعد أو يكون من أولادهم مؤمنون .

ثالثا : حديث رسول الله ﷺ « ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» حيث فهموه على أن الله تعالى أعطى الأنبياء السابقين المعجزات الحسية ، وأعطى محمدا ﷺ القرآن الكريم وهو الوحي ، ولم يعط معجزات حسية ، وهذا فهم قاصر للحديث الشريف . لأن الله تعالى جعل محمدا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين وأفضلهم وجعل رسالته للناس كافة وإلى أن تقوم الساعة ، ومقتضى هذا التفضيل أن يمنحه الله تعالى أكثر مما منحهم وقد كان حيث أيده بمعجزات حسية مثل ما أيدهم به وأكثر وزاده عليهم وفضله بالقرآن الكريم الذي لم يعط أحد من الأنبياء مثله ، ولذا فسر العلماء هذا الحديث عدة تفسيرات منها :

١ - أن كل نبي أعطى من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء فآمن به البشر ، وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يعط أحد مثله .

٢ - أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخييل بسحر وشبهة بخلاف معجزة غيري ، فإنه قد يخيل الساحر بشيء مما يقارب صورتها كما خيلت السحرة في صورة عصا موسى عليه السلام والخيال قد يروج على بعض العوام .

٣ - أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ، ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم ، ومعجزة نبينا ﷺ القرآن المستمر إلى يوم القيامة[١٧٤] .

٤ - وقال ابن كثير : «وإنما كان الذي أوتيت» أي الذي جله وأعظمه الوحي الذي أوحاه الله إليّ وهو القرآن الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده ، فإن البراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق

منها إلا الخبر عنها . وأما القرآن فهو حجة قائمة كأنما يسمعه السامع من في رسول الله ﷺ فحجة الله قائمة في حياته ﷺ وبعد وفاته ، ولهذا قال : فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة أي لاستمرار ما آتاني الله من الحجة البالغة والبراهين الدامغة فلهذا يكون يوم القيامة أكثر الأنبياء تبعاً»[١٧٥] .

ومن هذا يتضح أن معنى الحديث في بيان ما فضل به النبي ﷺ على من سبقوه من الأنبياء فهو ليس مثلهم مؤيدا بالمعجزات الحسية فقط التي تنقرض بانقراض عصرها ، وإنما فضل عليهم بالقرآن الكريم الذي لم يعط لغيره ، وهو معجزته الكبرى لأنه لا ينقرض مثل غيره من المعجزات الحسية ، وإنما باق إلى يوم القيامة ، ومن هنا كان المعجزة الكبرى والمعجزة العظيمة ، وليس المعجزة الوحيدة كما زعموا من مثل قول الاستاذ سيد قطب : إن معجزة الإسلام هي القرآن ، وهو كتاب يرسم منهجا كاملا للحياة ويخاطب الفكر والقلب ويلبي الفطرة القويمة ويبقى مفتوحا للأجيال المتتابعة تقرؤه وتؤمن به إلى يوم القيامة ، أما الخارقة المادية فهي تخاطب جيلا واحدا من الناس وتقتصر على من يشاهدها من هذا الجيل . والتجارب البشرية السابقة اقتضت أن تجيء الرسالة الأخيرة غير مصحوبة بالخوارق لأنها رسالة الأجيال المقبلة جميعها لا رسالة جيل واحد يراها ولأنها رسالة الرشد البشري تخاطب مدارك الإنسان جيلا بعد جيل وتحترم إدراكه الذي تتميز به بشريته والذي من أجله كرمه الله على كثير من خلقه ، أما الخوارق التي وقعت للرسول ﷺ وأولها خارقة الاسراء والمعراج فلم تتخذ معجزة مصدقة للرسالة ، إنما جعلت فتنة للناس وابتلاء»[١٧٦] .

ونحن مع المرحوم سيد قطب فيما قاله عن القرآن فهو بلا شك أعظم المعجزات على الاطلاق لرسولنا ولغيره ولكن لسنا معه في نفي الاعجاز عن

---

١٧٥ - البداية والنهاية جـ٦ ص٦٩ .

١٧٦ - في ظلال القرآن المجلد الرابع ص٢٢٣٧ ، وانظر أيضا : الوحي المحمدي ص١١٢ ، وحياة محمد ص٥٣-٥٥ .

الخوارق الأخرى واعتبارها فقط للفتنة والابتلاء ، وسيتضح ذلك من بيان الشبهة الخامسة «التحدي» .

رابعاً : وأما قولهم إن هذه الخوارق جاءت بطريق الآحاد ولم تنقل بطريق التواتر وهذا لا يفيد العلم فذلك مردود عليه بأن هذه الخوارق وإن كانت آحادية إلا أن تكررها وتعدد رواياتها وطرقها أعطاها الاستفاضة والشهرة والتواتر المعنوي فأفادت العلم الضروري والقطع ، ،وقد أثبتنا هذا فيما مضى من دراسة بعض المعجزات كانشقاق القمر وحنين الجذع ونبع الماء وتكثير الطعام وعرفنا قول ابن حجر والغزالي وابن الديبع وغيرهم في تحقق العلم الضروري بهذه المعجزات لأنها ثبتت بطريق التواتر فأفادت القطع ، ولا يعرف ذلك إلا أهل هذا العلم ، وإليك تأكيدا لذلك من كلام القسطلاني الذي يقول فيه : «وأما ما عدا القرآن من معجزاته عليه السلام كنبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير تحد ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يديه ﷺ من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة علي وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت موارد الآحاد مع أن كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والأخبار ، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك ، فلو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيد للقطع النظري لما كان مستبعدا وذلك أنه لا مرية أن رواة الأخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار في الجملة ولا يحفظ عن أحد من أصحابه مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا الإنكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق لأن مجموعهم محفوظ عن الإغضاء عن الباطل وعلى تقدير أن يوجد من بعضهم إنكار أو طعن على بعض من روى شيئا من ذلك فإنما هو من جهة توقف في صدق الراوي أو تهمته بكذب أو توقف في ضبطه أو نسبته إلى سوء الحفظ أو جواز الغلط ، ولا يوجد أحد منهم طعن في المروي كما وجد منهم في غير هذا الفن من الأحكام وحروف القرآن ونحو ذلك والله أعلم[١٧٧] .

---

١٧٧ - المواهب اللدنية - القسطلاني جـ٥ ص١٠١ ، ١٠٢ .

ومن هذا يتبين أن هذه المعجزات لم تقف عند وقائع آحادية وإنما تكاثرت آحادها وتعددت مناسباتها ونقلها الخلف عن السلف وأقر بها الراوي والساكت فانتقلت من الآحادية إلى التواتر ومن الظنية إلى العلم الضروري والقطع ، وتلقاها الناس بالقبول والتسليم ولم يطعنوا - إذا وقع طعن - في المتن والمروي ، وإنما في الراوي والسند . وعلى هذا لا نستطيع أن نرفض هذه الثوابت والوقائع القطعية بتلك الظنون والأوهام التي لا أساس لها وثبت وهنها وهوانها .

وقد ألف صالح بن الحسين الجعفري كتابا في إثبات هذه المعجزات الحسية والرد على النصارى واليهود ، أكثر فيه من القول بتواتر ثبوت هذه المعجزات وإفادتها العلم الضروري والقطع واليقين[١٧٨] .

خامساً : قالوا إن من شروط المعجزة «التحدي» وهذه الخوارق لم يتحد بها رسول الله ﷺ فلا تسمى معجزات والرسول ﷺ لم يتحد إلا بالقرآن فهو المعجزة الوحيدة . وهذا غير صحيح لأنهم فهموا التحدي فهما ضيقا محدودا وهو المطالبة بالإتيان بمثل المعجزة وذلك لا يصدق إلا على القرآن كما مر في الآيات - آيات التحدي - السابقة .

أما المفهوم الصحيح للتحدي فهو دعوى النبوة فكل ما اقترن بدعوى النبوة وظهر على يديه ﷺ منذ بعثته إلى يوم وفاته من الخوارق فهو معجزة لأن التحدي قائم ومستمر مادام هناك مكذب ، فلما مات النبي ﷺ انقطعت هذه المعجزات بوفاته وبقيت المعجزة الكبرى تتحدى الأجيال إلى يوم الدين . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن التحدي قد يكون صراحة وقد يكون ضمنيا ، وقد وقع التحدي الصريح بالقرآن الكريم والتحدي الضمني بما سواه ، وعلى هذا الفهم الصحيح يكون التحدي قائما بجميع المعجزات صراحة أو ضمنا وتكون جميع الخوارق التي وقعت للنبي ﷺ من بدء بعثته إلى وفاته معجزات مستكملة للشروط التي وضعوها .

ومن جهة ثالثة فمن الذي قال بالتحدي وضروريته للمعجزة ؟ هل ثبت

---

١٧٨ - الرد على النصارى ، انظر الصفحات من ٩٥ - ١٠٦ .

ذلك في القرآن أو السنة أو إجماع الصحابة ؟ كلا إذا فهو استنباط بشري استنبطوه من بعض آيات القرآن الكريم التي تحدى الله تعالى بها البشر وعمموا ذلك على جميع الخوارق وأخضعوها إليه . وهذا غير صحيح . بل إن هناك من يقول إن القرآن الكريم ليس معجزة تحد أي لم ينزل على النبي ﷺ جوابا على تحدي الكفار أو طلبهم وإنما هو معجزة لذاته وماهيته . نزل على النبي ﷺ لاصطفائه من قبل الله بالرسالة والتنزيل ونزل كثير منه على النبي ﷺ قبل تحدي المشركين[١٧٩] ، وإذا نظرنا إلى الآيات التي تحداهم بها نجدها إما مكية متأخرة عن بدء البعثة بسنوات كآيتي هود والإسراء ، وإما مدنية كآيتي البقرة .

وقد أجاب القسطلاني عن هذه الشبهة وردها بقوله : وقال المحققون : «التحدي الدعوى للرسالة فما جاء به بعدها من الخوارق فهو معجزة وإن لم يطلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدى . . ثم قال في الفرق بين المعجزة والسحر ؛ وبين النبي والساحر : «فإن لجأتم إلى ما ذكره القاضي العلامة أبو بكر الباقلاني من الفرق بينهما بالتحدي فقط قيل لكم هذا باطل من وجوه أحدها أن اشتراط التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صاحب ولا إجماع ، وما تعرى من البرهان فهو باطل ، الثاني أن أكثر آياته ﷺ وأعمها وأبلغها كانت بلا تحد كنطق الحصى ونبع الماء ونطق الجذع وإطعامه المئين من صاع وتفله في العين وتكلم الذراع وشكوى البعير ، وكذا سائر معجزاته العظام ، ولعله لم يتحد بغير القرآن وتمنى الموت ، قالوا فأف لقول لا يبقى من الآيات ما يسمى معجزة إلا هذين الشيئين ، ويلقى معجزات كالبحر المتقاذف بالأمواج ، ومن قال إن هذه ليست معجزات ولا آيات فهو إلى الكفر أقرب منه إلى البدعة ، والوجه الثالث وهو الدافع لهذا القول قوله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾[١٨٠] ، وقال تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن

---

١٧٩ - سيرة الرسول - محمد عزة دروزه جـ١ ص٢٤٨ .

١٨٠ - الأنعام : ١٠٩ .

كذب بها الأولون ﴾[١٨١] . فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الأنبياء آيات ولم يشترط تحديا من غيره فصح أن اشتراط التحدي باطل محض انتهى ملخصا من تفسير الشيخ أبي أمامة بن النقاش وأجيب بأنه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الإتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي بل يكفي دعوى الرسالة والله أعلم»[١٨٢] .

وهكذا يتبين أن التحدي الذي اشترطوه لا أساس له من قرآن أو سنة أو إجماع وإنما هو من وضع المتكلمين ، وعلى فرض صحته فإن المقصود به هو الاقتران بدعوى الرسالة وليس المطالبة بالإتيان بمثل الخارق وعلى فرض هذا المعنى أيضا فإن التحدي منه ما هو صريح كالقرآن وما هو ضمني كغير القرآن فسقطت بذلك هذه الشبهة .

سادسا : وأما القول بأن هذه الخوارق غير مقبولة عقلا ولا علما وهذه شبهة قديمة حديثة أثارها بعض الفلاسفة في الماضي وما زالت تثار في الحاضر ، فمن ذلك ما قالوه عن انشقاق القمر حيث أنكره بعضهم كلية وأول الآية آخرون وقد رد على هؤلاء وأولئك القسطلاني بكلام طيب نكتفي به عن طول الكلام يقول رحمه الله : «وقد أنكر هذه المعجزة -أنشقاق القمر- جماعة من المبتدعة كجمهور الفلاسفة متمسكين بأن الأجرام العلوية لملاستها لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوه في فتح أبواب السماء ليلة الإسراء إلى غير ذلك ، وجواب هؤلاء إن كانوا كفارا أن يناظروا أولا على ثبوت دين الإسلام فإذا تمت - المناظرة وثبت عندهم دين الإسلام - اشتركوا مع غيرهم ممن أنكر ذلك من المسلمين ، ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض لزم التناقض ولا سبيل له إلى إنكار ما ثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في يوم القيامة ، وإذا ثبت هذا استلزم أيضا وقوع ذلك معجزة لنبي الله ﷺ ، وقد أجاب عن ذلك القدماء من العلماء فقال الزجاج في معاني القرآن : أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق

---

١٨١ - الإسراء : ٥٩ .

١٨٢ - المواهب اللدنية جـ٥ ص٧٧ - ٧٩ .

القمر ولا إنكار للعقل فيه لأن القمر مخلوق لله أن يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم القيامة ويفنيه انتهى ، وأما قول بعض الملاحدة : لو وقع هذا النقل متواترا واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص به أهل مكة لأنه أمر صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك أصل لخلد في كتب التسيير - الهيئة - والتنجيم إذ لا يجوز إطباقهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره فأجاب عنه الخطابي وغيره بأن هذه القصة ، خرجت عن الأمور التي ذكروها لأنه شيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لأن القمر لا سلطان له بالنهار ومن شأن الليل أن يكون الناس فيه نياما ومستكنين في الأبنية ، والبارز منهم بالصحراء إذا كان يقظانا يحتمل أن يتفق أنه كان مشغولا في ذلك الوقت بما يلهيه من سمر وغيره ، ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مراكز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه فقد يجوز أنه وقع ولم يشعر به أكثر الناس وإنما تصدى لرؤيته من اقترح وقوعه ، ولعل ذلك إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر . وقد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون أهل بلد أخرى ، وقد أبدى الخطابي حكمة بالغة في أن المعجزات المحمدية لم يبلغ منها شيء مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه كالقرآن بما حاصله أن معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب به من قومه ، والنبي ﷺ بعث رحمة للعالمين فكانت معجزاته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذين بعث منهم لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الأفهام ، ولو كان إدراكها عاما لعوجل من كذب بها كما عوجل من قبلهم انتهى .

وكذا أجاب ابن عبد البر بنحوه[١٨٣] .

وهكذا يرد القسطلاني على المنكرين من الفلاسفة والمبتدعة ومن وافقهم من المسلمين بأكثر من رد ويدعم ردوده بأقوال من سبقوه كالزجاج والخطابي وابن عبد البر بما خلاصته أن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء ، وأن ذلك سيقع يوم

---

١٨٣ - المواهب اللدنية جـ٥ ص١١١ - ١١٣ .

القيامة فلا مانع من وقوعه في الدنيا معجزة لنبينا ﷺ وأن وقوعه ومشاهدته قد ثبت بالقرآن والروايات الصحيحة ، وإذا كان ذلك لم ينقل بالتواتر فله أسباب عديدة أهمها أن كثيرا من الناس لا يلتفت إلى القمر ولا إلى ما يجري فيه وأن من رحمة الله تعالى أن أدراك ذلك لم يكن عاما حتى لا يستأصلهم بالعذاب ثم من قال إن المعجزات تخضع لقوانين العلم ؟ وهي إذا خضعت لقوانين العلم لم تعد خارقة للعادة ولا معجزة ، فإعجازها في خرقها للسنن والقوانين المعتادة بين الناس .

هذا وقد نقل الاستاذ سيد سابق[١٨٤] نصا عن جريدة الجمهورية المصرية عدد ١٣/١٢/٥٧ أن كتابا ظهر حديثا في علوم الطبيعة أثبت بالأرقام المحسوسة واقعة انشقاق البحر لموسى ووقوف الشمس ليوشع عليهما السلام . كما أثبت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . ثم عقب على ذلك بقوله : إن المعجزة التي تخرق كل قوانين الفلك والطبيعة لا تصنعها سوى قدرة الخالق وحده . والمؤمنون بالله يرون أن الله خالق الكون ومدبر أمره وواضع سننه لا يتقيد بهذه السنن الظاهرة ، وأن وراء هذه السنن سننا أخرى فوق ما نعرف ، وأن الكون ليس كما يزعم السطحيون من الماديين ميكانيكيا يسير حسب ما يتصورون وأنه ليس له مدبر يدبر أمره وينظم شئونه ، لا ، إن الكون أكبر مما يتصوره هؤلاء وأعظم ، وما عرفوا منه إلا الأسماء التي يسترون بها جهلهم وينفسون بها عن غرورهم إن الأمر كما قال الله تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[١٨٥]

وهكذا تساقطت شبهات المنكرين والمؤولين للمعجزات الحسية أمام الأدلة الصحيحة والبراهين القوية ولم يبق هناك مجال للإنكار أو التشكيك فيها اللهم إلا عنادا وجحودا وهذا مرده ومرد أصحابه إلى الله تعالى «كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾[١٨٦] .

---

١٨٤ - العقائد الإسلامية ص٢١١ ، ٢١٣ .

١٨٥ - الإسراء : ٨٥ .

١٨٦ - الرعد : ١٧ .

خاتمـــة

اتضح لنا من هذا البحث :

أولاً : أن الله تعـالى أيد رسـولـه ﷺ بمعجزات كثيرة منها ما هو معنوي كالقرآن الكريم وما هو حسي كانشقاق القمر .

ثانياً : أن القـرآن الكريم هو أعظم المعجزات على الأطلاق ولكنه ليس المعجزة الوحيدة لنبينا ﷺ .

ثالثاً : أن المعجزات الحسية للنبي ﷺ ليست بهذه الكثرة الهائلة التي تجاوز بها البعض حدود الثلاثة آلاف وجعلها البعض غير منحصرة ولكن الصحيح منها وبعد التدقيق في حدود المائة تقريباً .

رابعاً : أن هذه المعجزات الحسية وإن كانت آحادها قد ثبتت بطريق الآحاد إلا أن مجموع روايات وتعدد طرق كل معجزة ينقلها من الآحاد إلى التواتر المعنوي الذي يفيد العلم الضروري والقطع .

خامساً : لا يجوز إنكار ما ثبت من هذه المعجزات أو التشكيك في الصحيح منها وإلا جر ذلك إلى الفسق أو الكفر والعياذ بالله .

سادساً : تساقطت شبهات الفلاسفة والمبتدعين من منكري هذه المعجزات أمام الأدلة القوية والبراهين الصحيحة .

سابعاً : أن المعايير التي وضعها العلماء للمعجزة بعامة تنطبق على ما هو معنوي منها وما هو حسي أيضا .

ثامنـاً : أن الآيات التي طلبهـا المشركـون ولم يجبهم الله إليهـا ليس نفيا للمعجزات الحسية وإنما لحكمة رأها الله تعالى في عدم الاجابة .

تاسعـا : أن هذه المعجـزات الحسية حققت الحكمـة منها سواء في تأييد النبي ﷺ وإثبات صدقه أو في إيمان بعض المشاهدين لها ، أو في تثبيت المؤمنين .

عاشرا : أن رسول الله ﷺ قد أوتي من المعجزات الحسية أكثر مما أوتي غيره وفضل عليهم جميعا بمعجزة باقية خالدة لم يعطها أحد وهي القرآن الكريم .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على رسوله . ورضي الله تبارك وتعالى عن آله وأصحابه أجمعين .

أهم المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - الصحيحان (البخاري ، ومسلم) .

٣ - إحياء علوم الدين / الغزالي / دار الصابوني مكتبة المعارف بيروت

٤ - أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / الطبري اللالكائي تحقيق الدكتور أحمد سعد . دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض .

٥ - البداية والنهاية / ابن كثير . مكتبة المعارف - بيروت .

٦ - تبسيط العقائد الاسلامية / حسن أيوب / الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية .

٧ - تفسير القرآن العظيم / ابن كثير / دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٨ - التفسير الكبير / الرازي / دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٩ - الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة .

١٠ - حدائق الأنوار ومطالع الأسرار / ابن الديبع الشيباني / تحقيق عبد الله الأنصاري - إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر .

١٠ - حياة محمد / د. محمد حسين هيكل / مطبعة السنة المحمدية / القاهرة .

١٢ - خاتم النبيين / محمد أبو زهرة / إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر .

١٣ - الرد على النصارى - لأبي البقاء الجعفري - تحقيق الدكتور محمد حسنين - مكتبة المدارس - قطر ١٩٨٨ .

١٤ - ساعة بين الكتب / عباس العقاد / المكتبة العصرية - بيروت .

١٥ - السيرة الحلبية / برهان الدين الحلبي / المكتبة الإسلامية - بيروت .

١٦ - سيرة الرسول / محمد عزة دروزة / إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر .

١٧ - السيرة النبوية / ابن سيد الناس / مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر .

١٨ - السيرة النبوية / أبو الحسن الندوي / إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر .
١٩ - السراج الوهاج / صديق خان / إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر .
٢٠ - شرح الزرقاني على المواهب اللدنية / دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .
٢١ - شرح العقيدة الواسطية / محمد خليل هراس - الرياض .
٢٢ - الصحاح في اللغة والعلوم / الجوهري / نديم مرعشلي / دار الحضارة العربية - بيروت .
٢٣ - الظاهرة القرآنية / مالك بن نبي / تقديم محمود شاكر / الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية .
٢٤ - العقائد الإسلامية / سيد سابق / دار الكتاب العربي - بيروت .
٢٥ - عون الباري / صديق خان / إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر .
٢٦ - فتح الباري / ابن حجر / دار المعرفة - بيروت .
٢٧ - فقه السيرة / محمد الغزالي - إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر .
٢٨ - في ظلال القرآن / سيد قطب / دار الشروق - القاهرة - بيروت .
٢٩ - غاية المرام في علم الكلام / الآمدي / تحقيق حسن عبد اللطيف / إحياء التراث الإسلامي - القاهرة .
٣٠ - المحرر الوجيز (تفسير ابن عطية / إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر .
٣١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي / دار الفكر - بيروت .
٣٢ - مختصر منهاج القاصدين / المقدسي / المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق .
٣٣ - المنقذ من الضلال / للشيخ عبد الحليم محمود / دار الكتاب اللبناني - بيروت .
٣٤ - المواهب اللدنية / القسطلاني / دار المعرفة - بيروت .
٣٥ - الوحي المحمدي / رشيدرضا / مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر .